الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة مع عرض مصور لمعالم حجته ﷺ

كأنك معه

صفة حجة النبي ﷺ كأنك معه





تأليف

عبدالوهاب بن ناصر الطريري

كأنَّك معه

صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنك معه

تأليف
عبد الوهاب بن ناصر الطريري

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

مع عرض مصور لمعالم حجته صلى الله عليه وآله وسلم

كأنَّك معه

صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنك معه

عبد الوهاب بن ناصر الطريري

ح عبد الوهاب بن ناصر الطريري، ١٤٢٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطريري، عبد الوهاب بن ناصر

كأنك معه -صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم / عبد الوهاب بن ناصر الطريري -

ط٢، الرياض، ١٤٢٦ هـ

٢٠٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ١ - ٧٧٧ - ٤٩ - ٩٩٦٠

١ - الحج أ. العنوان

ديوي ٢٥٢,٥ ١٤٢٦ / ٦٤٧٣

رقم الإيداع: ١٤٢٦ / ٦٤٧٣

ردمك: ١ - ٧٧٧ - ٤٩ - ٩٩٦٠

إصدارات الإسلام اليوم

الطبعة الثانية - صفر ١٤٣٢هـ



ص.ب: ٢٨٥٧٧ - الرمز: ١١٤٤٧
info@islamtoday.net
www.islamtoday.net

الرياض:
هاتف: ٠١٢٠٨١٩٢٠
فاكس: ٠١٢٠٨١٩٠٢

بريدة:
هاتف: ٠٦٣٨٢٦٤٦٦
فاكس: ٠٦٣٨٣٠٠٥٣

كأنَّك معه

صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنك معه


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لمعالي شيخي الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع، والذي تكرم بإفادتي بملاحظات مهمة وإضافات قيِّمة ألحقتها كلها في هذا الكتاب.

ولمعالي الشيخ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، والذي تحامل على مرضه؛ وصحبني في جولة على معالم مكة، فهو الذي عرفها قبل أن يوضع حجر عن حجر.

ولأخي الشيخ حمد بن محمد الغماس، والذي كان الأهل والدار في البلد الحرام، حفاوة وضيافة وكرمًا وقيامًا بكل ما نحتاج.

ولأخي د. معراج بن نواب مرزا، والذي بذل لي بسخاء مقتنياته من الصور النادرة والخرائط القديمة عن معالم مكة المكرمة.

ولأخي طارق بن عبد الله المسفر، والذي صحبته في رحلة الحج، كما صحبته في رحلة العمر.

ولأخي د. عبد الله بن حمد السكاكر، وأخي د. إبراهيم بن عبد العزيز الزيد، وأخي د. سامي بن عبد العزيز الماجد، وأخي د. خالد بن فهد البهلال؛ فقد تكرموا بإفادتي بملاحظاتهم على الكتاب قبل طبعه، ولأخي جمعان بن عبد الله العسيري في المدينة المنورة، وأخي عبد العزيز بن علي القرشي، وأخي علي بن عليان الفهمي في مكة المكرمة؛ فقد بذلوا جهدًا مشكورًا في التنقل بين المعالم وتصوير المشاهد.

فلهم من الله الأجر المضاعف والثواب الجزيل ، ولهم مني صادق الشكر، وخالص الدعاء.



المقدمة

رحلة مع الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

تحية من عند الله مباركة طيبة، **وبعد:**

فهذه رحلة بالقلب والوجدان، نخرق فيها حجب الزمن، ونطوي حقب التاريخ، نشرف فيها على أعظم سفر وأكرم مسافر، مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفره ذاك، وقد تتام عمره، وبلَّغ دعوته، وأدى رسالته، وأنجز الله له وعده، وقرَّت عينه صلى الله عليه وآله وسلم بظهور الدين وهداية الناس.

هذه رحلة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تعيش فيها معه كأنك تراه لا يغيب عنك خياله، ولا يخفى عليك شيء من حاله، فليس ثَمَّ شيء من أمره إلا وقد حُفظ عنه ونُقل إلينا، فكأنَّا نراه رأي عين.

هذه رحلة أفضل خلق الله إلى أفضل البقاع وأحبها إلى الله، حيث ولد صلى الله عليه وآله وسلم ونشأ، وشب وتحنَّث، ونزل الوحي عليه أول ما نزل، وبلَّغ الرسالة وصدع بما أُمِر، فكانت فِجاج مكة وعَرَصَاتها مشرق

النبوة ومنطلق الدعوة، فكم شهدت شِعابها ووِهَادُها جهده وجهاده، وصبره وبلاءه، ففي كل شِعْب تاريخ، وعند كل جبل قصة.

ثم ها هو صلى الله عليه وآله وسلم يعود بعد أن تمت النعمة، وعظمت المنة، وكمل الدين، واجتمعت إليه أطراف الجزيرة، ها هو يعود وهو يرى أمته مؤمنة به، متبعة له، مُصِيْخَةً إليه، ليقيم لهم آخر أركان الإسلام، وليقول لهم: «**خذوا عني مناسككم**»[1]، كما قال لهم من قبل: «**صلوا كما رأيتموني أُصلِّي**»[2].

هذه رحلة نرحل فيها بأرواحنا ومشاعرنا في أعظم مسير وأقدس سفر، فذاك رسول الله، وتلك بلد الله، وهذا الحج إلى بيت الله.

فيا كل مؤمن برسالة رسول الله، ويا كل محب لمحمد بن عبد الله، ويا كل ملبٍّ لله، ضارب في الأرض أو سابح في السماء متوجهًا إلى بيت الله، أحضر قلبك وشعورك ومشاعرك لتصحب بوجدانك ركبه صلى الله عليه وآله وسلم، فترى مشاهد تأخذ بمجامع القلوب، وسيرة عطرة تستجيش المشاعر والشعور، ولا تزال تتأمل في مشاهد هذه الرحلة حتى تتداعى إليك رائعات المعاني بأجمل الدروس وأعظم العبر.

إنه الحديث الحبيب عن رحلة الحبيب وهو يقود المسلمين ليريهم مناسكهم، ويعلمهم كيف يحجون بيت ربهم.

وإن زادنا في رحلتنا هذه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إيماننا الموقن به، وحبنا الشاغف له، وشوقنا اللاهف إليه، واستشعارنا عظيم منة الله علينا ببعثته فينا: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ

يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فصلوات الله وسلامه وبركاته على سيدنا ونبينا محمد النبي الصادق الأمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وسائر الصحابة أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

عبد الوهاب بن ناصر الطريري
الرياض
البريد الإلكتروني
altriri@hotmail.com

صورة قديمة للكعبة


إلى مكة



صورة قديمة للمسجد النبوي وخلفه بساتين النخيل



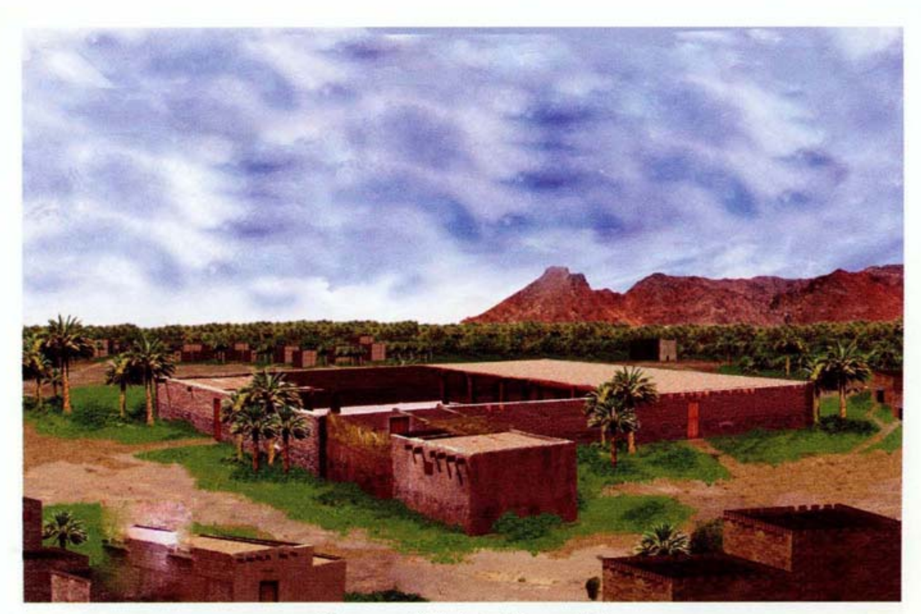
صورة قديمة للمدينة النبوية



جاء نصرُ الله والفتح، ودخل الناسُ في دين الله أفواجًا، وسَرَبَتْ قبائل العرب من أنحاء الجزيرة تَؤُمُّ طَيْبَة الطَّيِّبة، وافدةً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيسعهم خلقه وبرُّه، ويغشاهم نوره وهداه، فانشغل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهم، وحبس نفسه لهم.

وتَقَصَّفت سنة تسع ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلقَّى هذه الوفود تِبَاعًا، حتى سُمِّيت سنةُ تسعٍ: عامَ الوُفود.

وتنزَّلت في هذه السنة - التاسعة للهجرة - آيةُ فرض الحج على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٣] [الأنعام:٩٧]، فلم يستطع صلى الله عليه وآله وسلم الشُّخُوْصَ للحج؛ لانشغاله بتلقِّي وفود الإسلام، فأرسل أبا بكر رضي الله عنه ليحج بالناس، وأتبعه عليًّا رضي الله عنه بسورة براءة يقرؤها في مشاهد الناس: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ



صورة تقريبية تخيلية للمسجد النبوي



صورة قديمة للمسجد النبوي

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ... ﴾ [التوبة:١-٣].

وأُعلِن في هذا الموسم تطهيرُ البيت من أرجاس الجاهلية، فـ «لا يحجُّ بعد هذا العام مشركٌ، ولا يطوفُ بالبيت عُريان»[٤].

واستدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وعادت مكة طاهرة مطهرة كما تركها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وكأنما كانت حجة أبي بكر وعلي رضي الله عنهما بالناس تهيئة وإعدادًا لحجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **حجة الوداع**.

فلما دخلت سنة عشر آذنَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم الناسَ بالحج، وأعلمهم أنه حاجٌّ سنتَه هذه، فلم يبق أحدٌ يقدر أن يأتي راكبًا أو راجلًا إلا قدم؛ فقدم المدينة بشر كثير كلهم يريد أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويصحبه في حجته تلك[٥].

فلما كان يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر ذي القَعدة، خطب النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم خطبة الجمعة، وحوله تلك الجموع التي وافت المدينة لتحج معه، فكان من أولى ما يذكِّرهم به ما جاؤوا من أجله، وهو الحج، فقال: «**أيها الناسُ، إنَّ الله عز وجل قد فرض عليكم الحجَّ، فحجُّوا**». فقال الأقرع بن حابس رضي الله عنه: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت عنه صلى الله عليه وآله وسلم حتى أعادها ثلاثًا، فقال: «**لا، ولو قلتُ: نعم؛ لوجبت، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، ذَرُوني ما تركتكم؛ فإنما**



صورة قديمة لاجتماع الحجاج في المدينة



المدينة المنورة - المناخة قديماً



هلك مَن كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بالشيء فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، الحج مرةً، فما زاد فهو تطوُّعٌ»(٦).

وجعلوا يسألونه وهو على المنبر، فسألوه عن مواقيت الإهلال بالحج، فقال: «**يُهِلُّ أهلُ المدينة من ذي الحُلَيفة، ويُهِلُّ أهلُ الشام من الجُحْفَة، ويُهِلُّ أهلُ نَجْد من قَرْن، ويُهِلُّ أَهلُ اليمن من يَلَمْلَمَ**»(٧).

وناداه رجل وهو يخطب، فقال: يا رسول الله، ما تأمرنا أن نلبسَ من الثياب إذا أحرمنا؟ فقال: «**لا تلبسوا القميصَ، ولا السراويلَ، ولا العِمامةَ، ولا البُرْنُسَ، ولا ثوبًا مسَّه وَرْس ولا زعفران، ولا الخِفاف، إلا أحدٌ لا يجد نعلين، فليلبس خفين، وليقطعهما أسفل من الكعبين، ولا تنتقب المرأة المحرمة، ولا تلبس القفازين**»(٨).

وجعل صلى الله عليه وآله وسلم يجيبهم ويعلِّمهم أحكام نسكهم وهو على المنبر.

فلما كان يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ذي القَعدة، صلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر بالمدينة أربعًا، ثم خرج صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة بعدما ترجَّل وادَّهن، متوجِّهًا إلى مكة، سالكًا طريق الشجرة(٩)، وهي الطريق التي تمر اليوم بمحاذاة محطة العنبرية، وثنية المُدَرَّج، حتى تفضي إلى ذي الحُليفة.

وانْجَفَلَتْ معه الجموع المؤمنة، رِجَالًا وركبانًا، خِفافًا وثِقالًا، معهم



محطة العنبرية على الطريق إلى ذي الحليفة



ثنية المدرج على الطريق إلى ذي الحليفة



النساء والولدان[١٠]، حتى خرجت معه أسماء بنت عُمَيْس زوجة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وهي في طلق الولادة، وعمته ضُبَاعة بنت الزُّبير بن عبد المطلب رضي الله عنها، وكانت امرأة ثقيلة وجعة، فخشيت أن تنقطع، فلا تستطيع إكمال الحج إذا بدأت فيه، فقالت: يا رسول الله، إني أريد الحج وأنا شاكية؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**حُجِّي واشترطي، وقولي: اللهمَّ محِلِّي حيث حَبَسْتني. فإن لك على ربك ما استثنيت**»[١١].

سار صلى الله عليه وآله وسلم من طَيْبة الطَّيِّبة، واستعمل عليها أبا دُجانة الساعدي رضي الله عنه[١٢]، وخرج منها وهي هادئة وادعة، وكأنها لم تكن المدينة التي كانت تحاصرها أحزاب القبائل قبل خمس سنوات؛ حتى بلغ الكرب بالمؤمنين كل مبلغ، وابتُلِي المؤمنون فيها وزلزلوا زلزالًا شديدًا ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب:١٠].

ما أقصر خمس سنوات في عمر الزمن، مرَّت كلمح بالبصر، فإذا المدينة المكروبة الخائفة تصبح القرية الآمنة المطمئنة التي تؤمُّها القبائل، وتَفِدُ إليها الوفود، ويلتقي فيها الحجيج من كل أطراف الجزيرة؛ ليسيروا في إثر هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

ألا ما أعظم كرامة هذا النبي على ربه يوم أقر عينه بصدق موعوده ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣].



مسجد الفتح



مساجد الفتح التي أُقيمت على تخوم الخندق غربي جبل سلع،
حيث كان معسكر المسلمين في معركة الأحزاب

دَفَّ الرِّكابُ الشريف يخطو خطواته الأولى من طَيْبة الطَّيِّبة إلى مكة المكرمة في واسطة النهار؛ لتبدأ رحلة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لحجة الوداع.

وَصَلَ صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذي الحُليفة، وتسمى اليوم: (أبيار علي)[١٣]، وهي بطحاء في وادي العَقِيق بين بطن الوادي وبين الطريق السالك إلى مكة، وهي ميقات أهل المدينة، وصلها قبل صلاة العصر، فنزل هناك، وكان نزوله صلى الله عليه وآله وسلم بين المسجد الذي ببطن الوادي وبين الطريق، وسطًا من ذلك[١٤].

ويظهر أن منزله ومسجده صلى الله عليه وآله وسلم مما شملته توسعة مسجد الميقات اليوم.

وانتشر الناس معه في وادي العَقِيق، فصلَّى به العصر ركعتين[١٥]؛ إذ هو قد أشرع في السفر، وأقام به يومه ذلك، وبات ليلته تلك، وكأنما أراد صلى الله عليه وآله وسلم بالإقامة يومًا كاملًا في وادي العَقِيق انتظار الناس حتى يتتابعوا إليه، ويدركه مَن بَعُد عنه، ولأنه مكان أَفْيَحُ واسعٌ يناسب نزول الناس وانتشارهم فيه، فهو أرفق بهم من ازدحامهم في المدينة.

وفي ليلته تلك طاف صلى الله عليه وآله وسلم على نسائه[١٦]، وكن كلهن معه في سفره هذا، وفي طوافه عليهن في هذه الليلة إيناس لقلوبهن وتطييب لأنفسهن؛ حيث سينشغل عنهن بعدُ بأعباء السفر، والقيام بأمر الناس، قيادة ورعاية وتعليمًا.

بات صلى الله عليه وآله وسلم ليلته تلك تكلؤه رعاية الله، وتتنزَّل عليه



وادي العقيق الوادي المبارك



وادي العقيق مع السيل

ملائكته، ويتتابع عليه الوحي من ربه، فأُري في المنام مكانه الذي نزل فيه، وقيل له: «**إنك ببطحاء مباركة**». فلما أصبح قال: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ**». وقال للناس: «**مَن أراد منكم أن يُهلَّ بحج وعمرة فليهلَّ، ومَن أراد أن يُهِلَّ بحج فليُهِلَّ، ومَن أراد أن يُهل بعمرة فليُهِل**»[17].

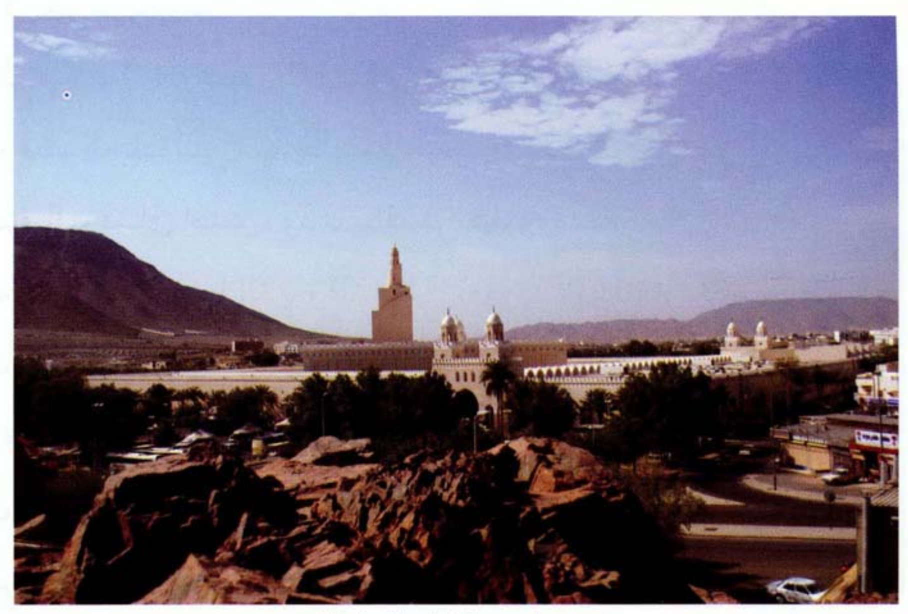
وفي ليلته هذه ولدت أسماء بنت عُمَيْس ولدها محمد بن أبي بكر، فأرسلت زوجها أبا بكر رضي الله عنه يسأل لها رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف تصنع؟ فأتى أبو بكر النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، فأمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمرها أن تغتسل، وتتحفَّظ بخرقة تمنع سيلان الدم عليها، ثم تُهِل بالحج، وتصنع ما يصنع الناس، إلا أنها لا تطوف بالبيت[18].

ثم تهيَّأ صلى الله عليه وآله وسلم لإحرامه غاية التهيؤ، حتى لتستشعر من تهيُّئه عِظَم العبادة التي سيدخلها، فيحتفل لها هذا الاحتفال، ويستقبلها هذا الاستقبال، فساق الهَدي، ودعا بناقة من هَديه، فأَشْعَرَها في صفحة سَنَامها الأيمن، وسَلَتَ عنها الدم وقلَّدها[19] نعلين[20]؛ إشهارًا للهَدي وتعظيمًا لشعائر الله ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج:٣٦].

وأرسل ببُدْنِه مع ناجية الخزاعي رضي الله عنه[21] يسوقها إلى مكة، فقال: يا رسولَ الله، كيف أصنعُ بما عَطِبَ منها؟ أي: أُصيب في الطريق بكسرٍ أو نحوه، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «**انحرها، ثمَّ اغْمِس**



صورة قديمة لمسجد الشجرة بذي الحليفة



صورة حديثة لذي الحليفة

نعلَها في دمها، ثم اضرب به صفحتَها، ثم خلِّ بينها وبين الناس، فليأكلُوها، ولا تأكل منها أنتَ، ولا أحدٌ مِنْ رفقتك»(٢٢).

وتجرَّد صلى الله عليه وآله وسلم لإحرامه واغتسل، فغسل رأسه بخِطْمِي وأشنان(٢٣)، ودهنه بشيء من زيت غير كثير، ثم لَبَّد رأسه بالعسل، حتى يجتمع شعره ولا يتشعث وينتشر، وتطيَّب من كفَّي عائشة رضي الله عنها بأطيب الطِّيب عندها، وتضمَّخ بالطِّيب، فكان صلى الله عليه وآله وسلم وهو الطيِّب المطيَّب يَنْفَحُ طِيبًا، ويُرى وَبِيصُ الطِّيبِ في مفارق رأسه ولحيته بعد ذلك(٢٤).

لبس صلى الله عليه وآله وسلم إحرامه، وصلَّى الظهر، ثم ركب ناقته القَصْواء، على غاية من الخشوع والخضوع والتعظيم لرب العالمين، متواضعًا لله، معظِّمًا لشعائره(٢٥).

فإن سألت عن رحله ووطائه، فإن نبيك صلى الله عليه وآله وسلم قد ركب راحلته وعليها رَحْلٌ رَثٌّ وقطيفة لا تساوي أربعة دراهم، فلما انبعثت به راحلته استقبل القبلة، وقال: «**اللَّهمَّ حَجَّةً لا رِياءَ فِيها ولا سُمْعةَ، لبيك حجة وعمرة**»(٢٦).

وإن سألت عن متاعه وزاده، فإنه ما تحمله زاملة(٢٧) أبي بكر رضي الله عنه، فكانت زاملته وزاملة أبي بكر واحدة(٢٨).

ولك أن تتفكَّر: ما الذي صحبه صلى الله عليه وآله وسلم من متاع الدنيا وزينتها، إذا كان كل ما حمله هو ما قاسمه ظهر زاملة أبي بكر رضي الله عنه؟!

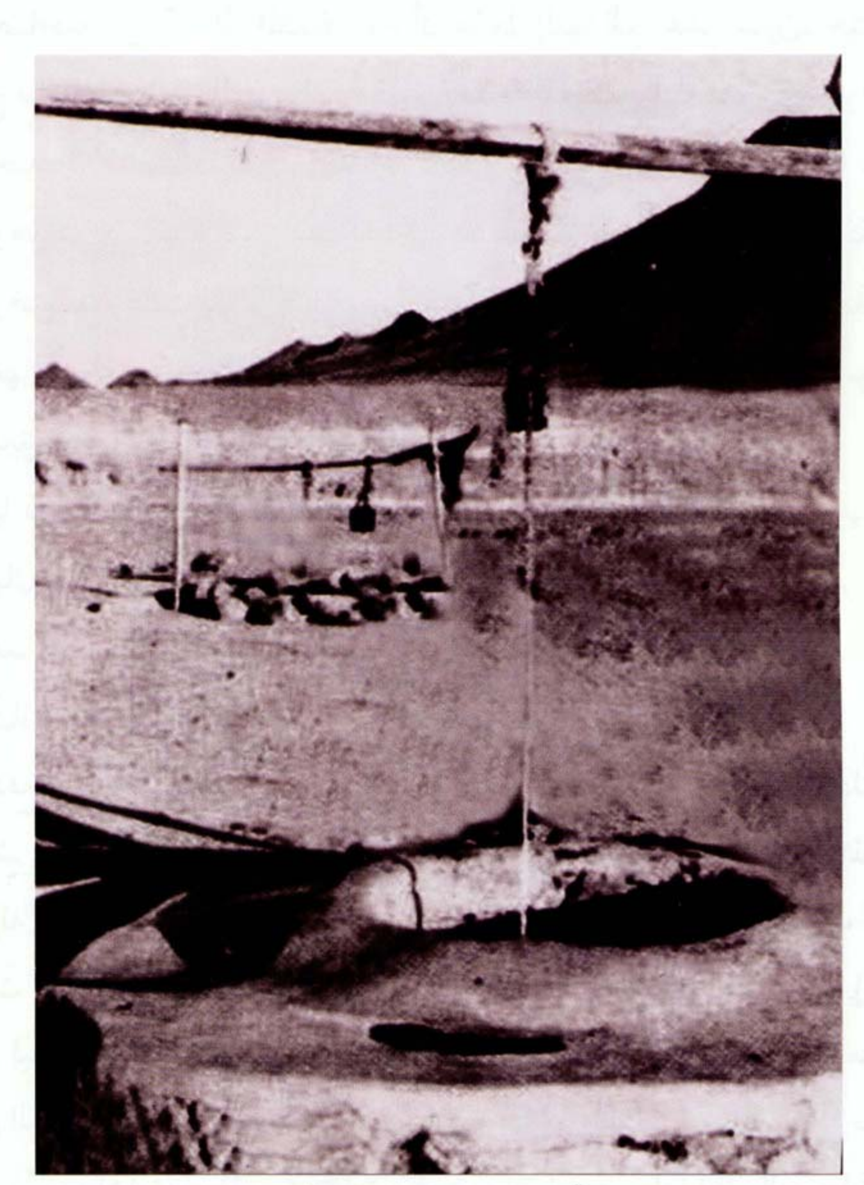
الراحلة وعليها الرحل

وإن سألت عن صاحبه في رحلته تلك من بين كل مَن ساروا معه، فإنه صاحبه من مكة إلى المدينة، يوم أن هاجر إليها قبل عشر سنين، حينما خرج صلى الله عليه وآله وسلم، وقد نذرت به القبائل وتطلَّبته، وهو يقول لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٢٩] [التوبة:٤٠].

وها هو ذا اليوم يسير مسيرًا آخر هو وصاحبه من المدينة إلى مكة، والأرض قد وطِّئت له، والقبائل التي كانت تطلبه قد آمنت كلها به، وهذه جموعها تزحف معه، وصاحبه في هذا المسير هو صاحبه في ذاك المسير الصديق المبارك أبو بكر رضي الله عنه.

يا لله.. ماذا ستقول الأرض التي يطؤونها، والفِجَاجُ التي يعبرونها، والجبال التي يمرون بها؟ ماذا ستقول لو نطقت، وهي تروي عظيم الفرق بين هذا المسير وذاك المسير؟ إنه أمر الله الغالب ولطفه الخفي ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠].

دفع صلى الله عليه وآله وسلم من ذي الحُلَيْفة؛ فلما استوت به راحلتُه على شَرَفِ البَيْداء[٣٠] رفع صوته بالذكر والتلبية: «**الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لبيك عمرة وحجًا، لَبَّيْكَ اللهمّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لا شَريكَ لك لبَّيكَ، إنّ الحمدَ والنِّعمةَ لكَ والمُلْكَ، لا شريكَ لكَ، لبَّيكَ إلهَ الحَقِّ لبَّيك**»[٣١]. وكان نسكه القِران[٣٢]، وكذا مَن ساق الهَدي معه من ذوي اليسار من أصحابه، كأبي بكر وعمر وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف[٣٣]، وأهلَّت نساؤه متمتعات بالعمرة إلى الحج، وأما أكثر الصحابة، فأهلوا بالحج مفردًا، لا يذكرون إلا الحج[٣٤].



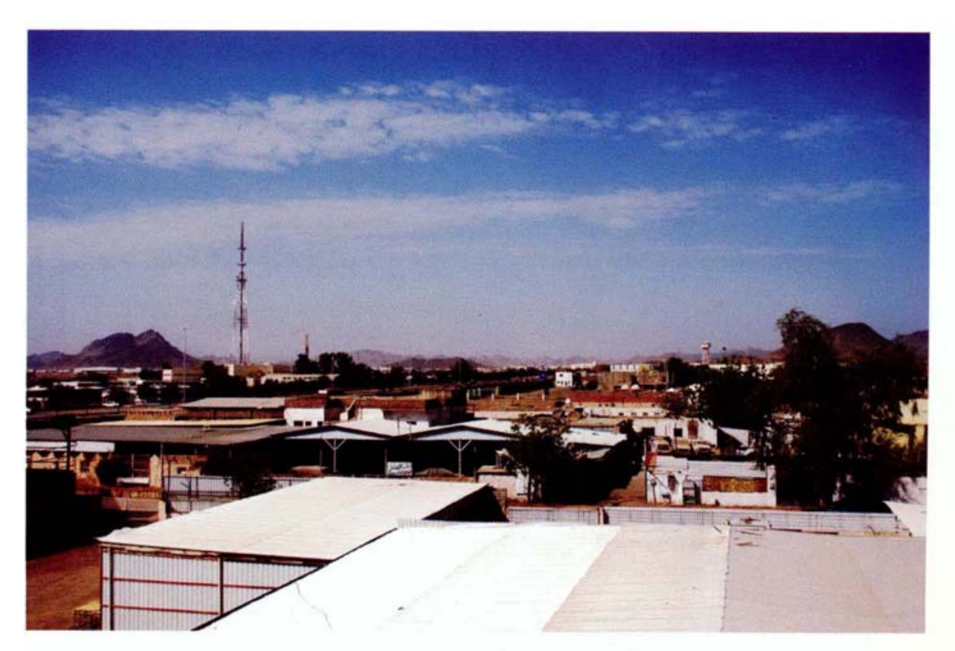
آبار علي بذي الحليفة قديمًا

سار صلى الله عليه وآله وسلم تحيط به القلوب، وترمُقه المُقَلُ، وتفديه المُهَجُ، فهو معهم كواحد منهم، لم توطَّأ له المراكب، ولم تتقدَّمه المواكب، ولم تُشق له الطرقات، ولم تُنصب له السرادقات، وإنما سار بين الناس، ليس له شارة تميِّزه عنهم، إلا بهاء النبوة وجلال الرسالة، يسير معهم وفي غِمَارِهم، يقول أنس رضي الله عنه: كنت رِدْف أبي طلحة على راحلته، وإن ركبته لتكاد تصيب ركبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يقول: «**لبَّيكَ حجّةً وعُمرةً**»(٣٥).

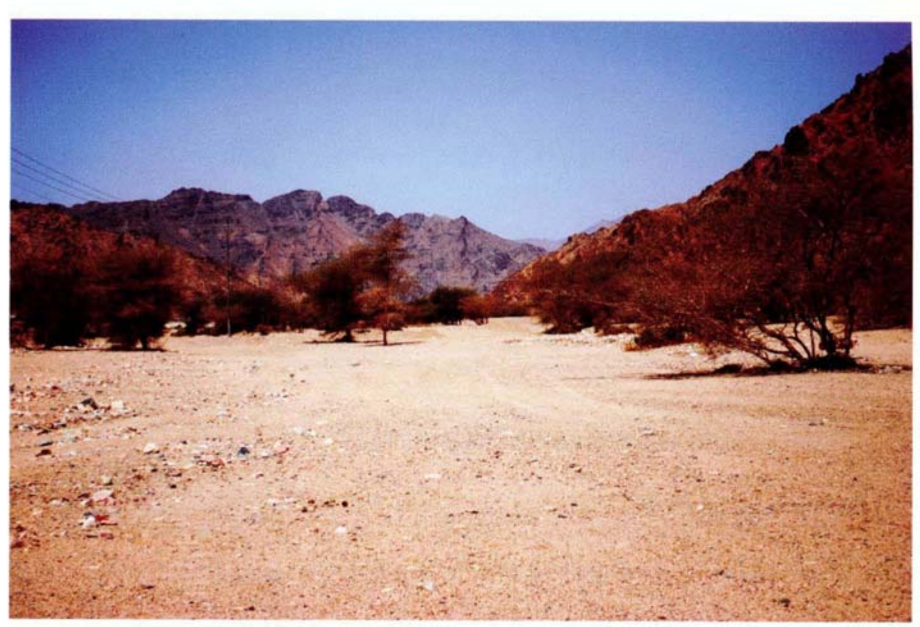
لقد كان الناس حوله كما قال جابر رضي الله عنه: نظرت مَدِّ بصري بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من راكب وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به(٣٦).

سار صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الجموع الزاحفة حوله، ما بين راكب وماشٍ، تحيط به كما تحيط الهَالة بالقمر، فتنزَّل عليه جبريل عليه السلام، فقال: «**يا مُحَمَّدُ، مُرْ أصحابَك فَلْيَرْفَعُوا أَصْواتَهم بالتَّلْبيةِ؛ فإنَّها مِن شِعارِ الحَجِّ**»(٣٧). فاهتزت الصحراء، وتجاوبت الجبال بضجيج الملبين وهتافهم بتوحيد رب العالمين: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، لبيك إله الحق لبَّيك».

وكان الصحابة رضي الله عنهم يزيدون في تلبيتهم: «لبيك ذا المعارج، لبيك ذا الفواضل، لبيك وسعديك، والخير في يديك، والرغباء إليك



شرف البيداء



فج الروحاء

والعمل، لبيك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك مرهوبًا منك ومرغوبًا إليك، لبيك حقًّا حقًّا، تعبُّدًا ورِقًّا»(٣٨). فلم يَرُد عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم منه شيئًا، ولزم صلى الله عليه وآله وسلم تلبيته(٣٩).

زحفت تلك الجموع على هذه الحال؛ هتاف بالتلبية، وعَجِيجٌ بالذكر، وإعلان بشعار الحج، فلم يبلغوا الرَّوحاء حتى بُحَّتْ أصواتهم من التلبية(٤٠).

أطياف الأنبياء:

أما رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو يقطع هذه الفَيَافِيَ الفِسَاحَ، وكأنما جبالها ووِهادها وآكامها وأوديتها تروِي له خبرها، وتحدِّثه بمَن مرَّ بها، فتراءت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطياف الأنبياء عليهم السلام الذين ساروا يَؤمُّون هذا البيت قبله، كأنما يراهم أمامه، ويرافقهم في مسيره.

فلما مر بفجِّ الرَّوْحَاء قال: «**لقد سَلَكَ فَجَّ الرَّوْحاءِ سبعونَ نبيًّا، حُجَّاجًا، عليهم ثيابُ الصُّوفِ**»(٤١).

ولما مر بثَنِيَّةٍ قال: «**أيُّ ثَنِيَّةٍ هذه؟**». قالوا: ثَنيَّة هَرْشَى. قال: «**كأني أَنظُرُ إلى يونسَ بنِ مَتَّى عليه السلامُ على ناقةٍ حَمْراءَ جَعْدَةٍ**(٤٢)**، عليه جُبَّةٌ مِن صُوفٍ، خِطامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ**(٤٣)**، وهُو يُلَبِّي**»(٤٤).

ولما مر بوادي الأَزْرَقِ قال: «**أيُّ وادٍ هذا؟**». قالوا: وادي الأزرق. قال: «**كأنِّي أَنظُرُ إلى مُوسَى على جمل أحمر مَخْطُوم بخُلْبَة، واضعًا إصبَعَيْهِ في أُذُنَيْهِ**



ثنية هرشى



ثنية هرشى

له جُؤَارٌ(٤٥) **إلى الله بالتَّلْبِيَةِ، مَارًّا بهذا الوادي**»(٤٦).

ولما مر بوادي عُسْفَانَ قال: «**يا أبا بكرٍ، أيُّ وادٍ هذا؟**». قال: وادي عُسْفان. قال: «**لَقَدْ مَرَّ بِهِ هودٌ وصالحٌ علَى بَكَراتٍ حُمْرٍ**(٤٧) **خُطُمُها اللِّيفُ، أُزُرُهُم العَبَاءُ، وأَردِيَتُهم النِّمارُ**(٤٨)**، يُلَبُّونَ يَحُجُّونَ البيتَ العَتِيقَ**»(٤٩).

إنها شعيرة ضاربة في عمق الزمن، تتابع فيها أنبياء الله ورسله عليهم السلام، فهل تتذكر أيها المؤمن وأنت تحج بيت الله أنك تسير في إثر هذه القافلة العظيمة من أنبياء الله ورسله؟ في طريق سار فيه هود وصالح وإبراهيم وموسى ويونس ومحمد صلى الله عليهم وسلم، وسيتبعهم فيه عيسى ابن مريم عليه السلام، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ، حَاجًّا، أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا**»(٥٠).

إنك وأنت تسير هذا المسير تستشعر أنك ذو نسب في الهداية عريق.

إنه مسير سار فيه أنبياء الله ورسله عليهم السلام، فادع ربك الذي سيَّرك في طريقهم الذي سلكوه أن يجمعك بهم في نزلهم غدًا في الآخرة: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

وفي الطريق معلِّمًا:

سار صلى الله عليه وآله وسلم في طريقه معلِّمًا وهاديًا، يُعلِّم الناسَ مناسكهم، ويبصِّرهم بأمور حجهم، ويجيبهم على أسئلتهم.

سمع رجلًا يلبِّي ويقول: لبيك عن شُبْرمة. فأرسل إليه فدعاه، فقال: «**ومَن شُبْرمة؟**». قال: أخ لي، أو قريب لي. قال: «**هل حججت عن نفسك؟**».



وادي الأزرق



وادي الأزرق

قال: لا. قال: «**فاجعل هذه عن نفسك، ثم حج عن شُبْرمة**»[٥١].

ورأى رجلًا حافيًا يسوق بَدَنة مقلَّدة نعلًا، وقد جهده المشي، فقال:«**اركبها**». فقال: إنها بَدَنة! فقال: «**اركبها**». قال: إنها بَدَنة! فقال: «**اركبها**». قال: إنها بَدَنة! فقال في الرابعة: «**ويلك، اركبها، ويلك، اركبها**». قال أبو هريرة رضي الله عنه: فلقد رأيته راكبها يساير النبي صلى الله عليه وآله وسلم والنعل في عنقها[٥٢].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يمر بالرجال يمشون، فيأمرهم بركوب هديه الذي ساقه معه[٥٣].

وفي أمره صلى الله عليه وآله وسلم ذلك نقض ومخالفة لما كانوا عليه في الجاهلية من إكرام بدنهم بترك ركوبها، كالبَحِيْرَةِ والسَّائِبَةِ والوَصِيْلَةِ والحَام[٥٤].

ولقيه أبو طَلِيق رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إن امرأتي أم طَلِيق تقرئك السلام، وإن لي جملًا وناقة، فقالت لي: أعطني جملك أحج عليه. قلت: هو حَبِيْسٌ في سبيل الله. قالت: إنه في سبيل الله أن أحج عليه، فأعطني الناقة. قلت: لا أوثر على نفسي أحدًا. قالت: فأعطني من نفقتك. قلت: ما عندي فضل عمَّا أخرج به وأدعه لكم، ولو كان معي لأعطيتك. قالت: فأقرئ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم السلام إذا لقيته، وقل له الذي قلتُ لك. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**صدقت أم طَلِيق، لو أعطيتها جملك كان في سبيل الله، ولو أعطيتها من نفقتك أخلفها الله لك**». قال فما



وادي عسفان



وادي عسفان

يعدل الحج معك يا رسول الله؟ قال: «**عمرة في رمضان**»[٥٥].

ولما مر بجبل جُمْدان قال: «**أين السابقونَ؟**». قالوا: يا رسولَ الله، قد مضى ناسٌ وتخلَّفَ ناسٌ. فقال: «**سيروا، هذا جُمْدان، سبق المُفَرِّدُونَ، سبق المُفَرِّدُونَ**». قالوا: وما المُفَرِّدُونَ يا رسولَ الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكراتُ، الذين يُهْتَرُونَ** -أي: يولعون- **في ذكر الله، يضع الذكرُ عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خِفافًا**»[٥٦].

وجُمْدان جبل على الطريق من المدينة إلى مكة، وهو أقرب إلى مكة، فهو المبشر بقرب الوصول إلى غاية السفر وهي مكة، والسابق إليه قد سبق في سفره، والمُفَرِّدُ هو الذي ليس معه إلا بعيره[٥٧]، وهذا يكون خفيفًا سريعًا سابقًا، فلفت صلى الله عليه وآله وسلم البصائر إلى معنى أعظم، وهو السبق في الآخرة، وأن الذين يأتون خفافًا من الأوزار فيسبقون فيها هم الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات؛ لأن إكثارهم للذكر يضع عنهم أثقال خطاياهم.

فانظر إلى لطف الإشارة، وقصر الدرس مع بلاغته، وكثرة الشواهد والمشاهد والأمثلة فيه، وحسن الربط بين معالم الطبيعة ومعالم الدين.

ثم انظر كيف جعل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم مسيره في هذا الطريق عامرًا بهذه اللفتات الرائعة، والمعاني الجميلة، فيُعلِّم الجاهل، ويصوب المخطئ، ويدل على فضائل الخير، ويُرَغِّبُ فيها بهذا الأسلوب الرشيق الوجيز، فصلوات الله وبركاته عليه، أتمَّها وأعظَمها.



جبل جمدان



جبل جمدان

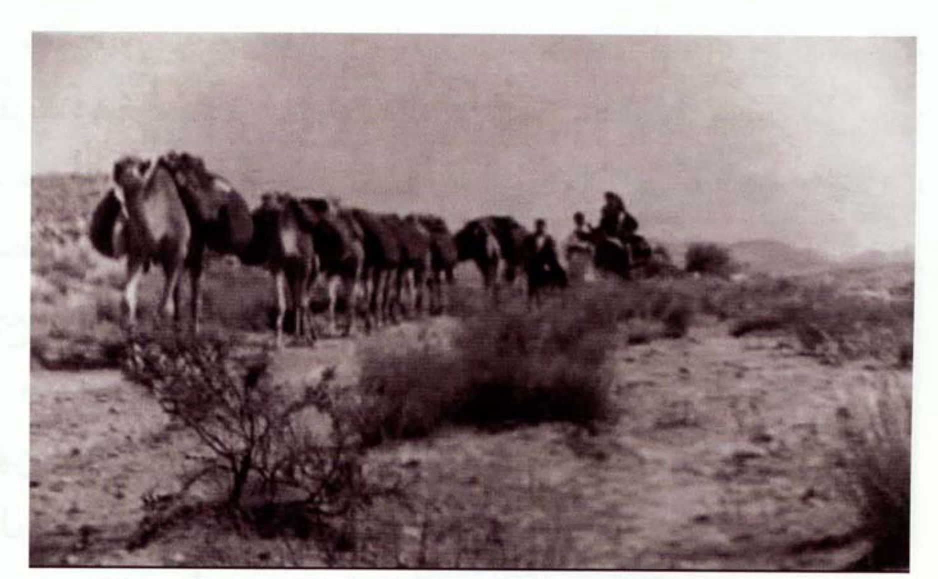
وعثاء السفر:

سار صلى الله عليه وآله وسلم في الطريق بين المدينة ومكة، مسافرًا يتلقَّى ما يتلقاه المسافر من وَعْثَاء السفر ونَصَب الطريق، فقد مرض صلى الله عليه وآله وسلم في مسيره هذا واشتد به صداع الشَّقِيقة، فاحتجم في وسط رأسه، في مكان يسمى لَحْيُ جَمَلٍ[٥٨]، واحتجم على ظهر قدمه من وجع كان برجله[٥٩].

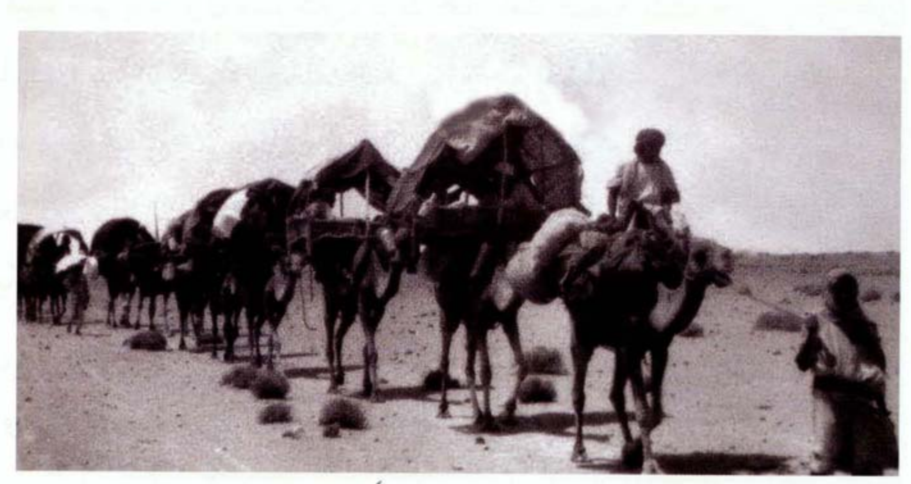
وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساؤه كلهن رضي الله عنهن، فلما كان ببعض الطريق نزل غلامٌ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقال له: أَنْجَشَة، وكان حسن الصوت، فجعل يَحْدُو الإبل ويسوقها، فأسرعت الإبل بحُدائه، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**ويحك يا أنجشة! رويدك سَوْقَكَ، رفقًا بالقَوارير**»[٦٠]. يعني النساء، أي: ارفق بهن، فقد أسرعت بالإبل.

فبينا هم يسيرون مسرعين، برك جمل أمنا صفية بنت حُيَيٍّ رضي الله عنها، فتقدَّمها الرَّكب، فجعلت تبكي، ورجع إليها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أُخبر بذلك، فجعل يمسح دموعها بيده الشريفة ويسكِّنها، وجعلت تزداد بكاءً وهو ينهاها؛ فلما أكثرت انتهرها، وأمر الناسَ بالنزول، ولم يكن يريد أن ينزل، وكان اليوم يوم صفية، فلما نزلوا ضُرب خباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخل فيه.

ولم تدر صفية ما يلقاها به رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخلت عليه، وخشيت أن يكون قد وجد في نفسه عليها، فانطلقت إلى عائشة رضي



قوافل الإبل قديمًا



قوافل الإبل قديمًا

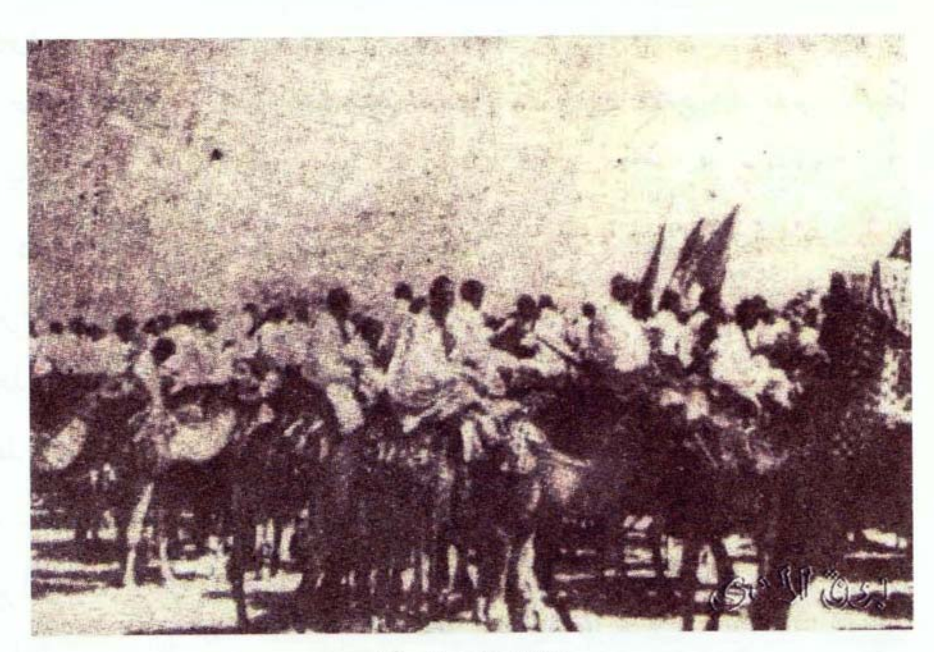
الله عنها، فقالت لها: تعلمين أني لم أكن أبيع يومي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء أبدًا، وإني قد وهبت يومي لك، على أن ترضِّي رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم عني. قالت عائشة: نعم. فلبست ثيابها، ثم انطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرفعت طرف الخباء، فقال لها: «**ما لك يا عائشة؟ إن هذا ليس بيومك**». قالت: ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء. فنام صلى الله عليه وآله وسلم القيلولة مع أهله.

فلما كان عند الرواح قال لزوجته زينب بنت جحش رضي الله عنها: «**يا زينب، أعيري أختك صفية جملًا**». وكانت زينب من أكثر أزواجه جمالًا، ولكن أخذتها الغَيرة، فقالت: أنا أعير جملي يهوديتك؟! -أي: زوجتك اليهودية، باعتبار ما كانت عليه قبل أن يصطفيها المصطفى- فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع ذلك منها، فهجرها، فلم يكلمها ولم يأتها ولم يقسم لها حتى رجع إلى المدينة(٦١).

وفي أحد منازله صلى الله عليه وآله وسلم في الطريق في مكان يسمَّى: العَرْجَ، جلس رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وبجانبه زوجه عائشة، وجلس صاحبه أبو بكر وبجانبه ابنته أسماء رضي الله عنهم، وكان أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه غلامه بزاملته التي كانت تحمل متاعه ومتاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فطلع الغلام وليس معه بعيره، فقال أبو بكر: أين بعيرك؟ قال: أضللته البارحة. فطفق أبو بكر يضربه، ويقول: بعير واحد تضله! وجعل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إليه ويبتسم، ويقول: «**انظُرُوا إلى هذا المُحْرِمِ ما يَصنَعُ!**»(٦٢). في مشهد زاخر بالرحمة والرأفة



قوافل الحج قديمًا



قوافل الحج قديمًا

بالغلام، والاستشعار لهيبة النُّسك وعظمة الشعيرة، وإيحاء لطيف لأبي بكر رضي الله عنه ليرفق بغلامه.

ولما بلغ آل نَضْلة الأسلمي أن زاملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضلت، حملوا إليه جَفْنَةً من حَيْسٍ[٦٣]، فأقبلوا بها حتى وضعوها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**هلم يا أبا بكر؛ فقد جاء الله بغداء طيب**». وجعل أبو بكر يغتاظ على الغلام! فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**هوِّن عليك يا أبا بكر؛ فإن الأمر ليس إليك ولا إلينا معك، وقد كان الغلام حريصًا على ألَّا يضل بعيره، وهذا خلف مما كان معه**». فأكل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهله وأبو بكر وكل مَن كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى شبعوا[٦٤].

ثم أقبل صفوان بن المعطَّل رضي الله عنه، وكان على ساقة الناس، والبعير معه وعليه الزاملة، فجاء حتى أناخ على باب منزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر: «**انظر هل تفقد شيئًا من متاعك؟**». فقام فنظر، فقال: ما فقدت إلا قَعبًا كنا نشرب فيه. فقال الغلام: هذا القعب معي. فقال أبو بكر لصفوان رضي الله عنهما: أدى الله عنك الأمانة[٦٥].

وجاء سعد بن عبادة وابنه قيس رضي الله عنهما ومعهما زاملة تحمل زادًا يؤمان رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوجدا رسول الله صلى الله عليه



الأبواء



ملتقى الأبواء ووادي ودّان

وآله وسلم واقفًا بباب منزله قد رد الله عليه زاملته، فقال سعد: يا رسول الله، بلغنا أن زاملتك ضلت الغداة، وهذه زاملة مكانها. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**قد جاء الله بزاملتنا، فارجعا بزاملتكما، بارك الله عليكما**». ثم قال: «**أما يكفيك يا أبا ثابت ما يُصنع بنا في ضيافتك مذ نزلنا المدينة؟**». فقال سعد: المنة لله ولرسوله، والله يا رسول الله، الذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا من الذي تدع. فقال: «**صدقتم يا أبا ثابت، أبشر! فقد أفلحت، إن الأخلاق بيد الله عز وجل، فمَن أراد أن يمنحه منها خلقًا صالحًا منحه، ولقد منحك الله خلقًا صالحًا**». فقال: الحمد لله، هو فعل ذلك[٦٦].

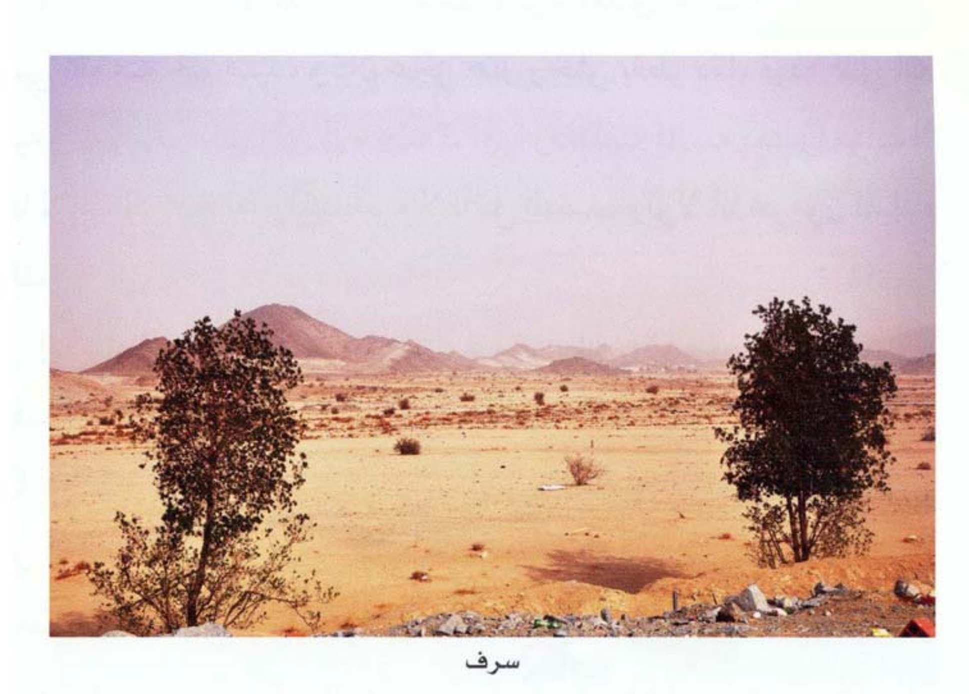
ولما نزل صلى الله عليه وآله وسلم الأَبْوَاءَ أهدى له الصَّعْبُ بن جَثَّامة رضي الله عنه لحم صيد، وكان عجُز حمار وحش يقطر دمًا، فردَّه صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رأى في وجهه كراهية رد هديته قال له معتذرًا مؤانسًا: «**إنا لم نرده كراهية له، ولكنا حُرمٌ لا نأكل الصيد، ولولا أنا محرمون لقبلناه منك**»[٦٧].

إنه مشهد غاية في التلطُّف؛ حيث قرأ صلى الله عليه وآله وسلم مشاعره النفسية، وسارع إلى بيان السبب الذي جعله يرد هديته، ولم يترك مشاعره نهبًا لاحتمالات مؤلمة، ثم طيَّب قلبه فأخبره بأنه سيقبل هذه الهدية لو كان غير مُحرم، فصلوات الله على مَن وصفه ربه فقال: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ولما قرب النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم من مكة نزل مكانًا يقال له:



سرف



سرف

سَرِف، وعرض على أصحابه مَن لم يكن ساق الهَدْي أن يجعلها عمرة، فقال: «**مَن لم يكن معه هَدْي، فأَحبَّ أن يجعلها عمرة فليفعل، ومَن كان معه هَدي فلا**». ولم يعزم عليهم، فالآخذ بها والتارك لها من أصحابه رضي الله عنهم، ثم دخل على عائشة رضي الله عنها فإذا هي تبكي، فقال لها: «**ما يُبكِيكِ؟**». قالت: والله لوددت أنْ لم أكن خرجتُ العام. قال: «**فمَا لَكِ؟**». قالت: سمعت قولك لأصحابك، ومُنِعتُ العمرةَ. فقال: «**لَعَلَّكِ نُفِسْتِ!**». أي حضت، قالت: نعم. فجعل صلى الله عليه وآله وسلم يُسَرِّي عنها ويواسيها ويتلطف بمشاعرها، ويقول: «**إنَّ هذا شيءٌ كتَبه اللهُ على بناتِ آدمَ، وإنَّما أنتِ امرأةٌ مِن بناتِ آدمَ، كَتَبَ اللهُ عليكِ ما كَتَب عليهنَّ، فلا يَضُرُّكِ، افعَلي ما يفعَلُ الحاجُّ، غيرَ ألَّا تطُوفي بالبيتِ حتى تَطهُرِي، وكوني في حجِّكِ، فعَسَى اللهُ أنْ يَرزُقَكِيها**»(٦٨). أي: العمرة.

وهكذا كان صلى الله عليه وآله وسلم خير الناس لأهله؛ بِرًّا بهم ورعايةً لمشاعرهم، واحتفالًا واهتمامًا بما يهمهم، وهكذا كانت أمنا عائشة رضي الله عنها مباركة في شأنها كله، فكان ما أصابها في هذا المكان تشريعًا ظاهرًا لنساء المسلمات إذا أصابهن ما أصابها. فصلوات الله وبركاته عليكم أهل البيت.

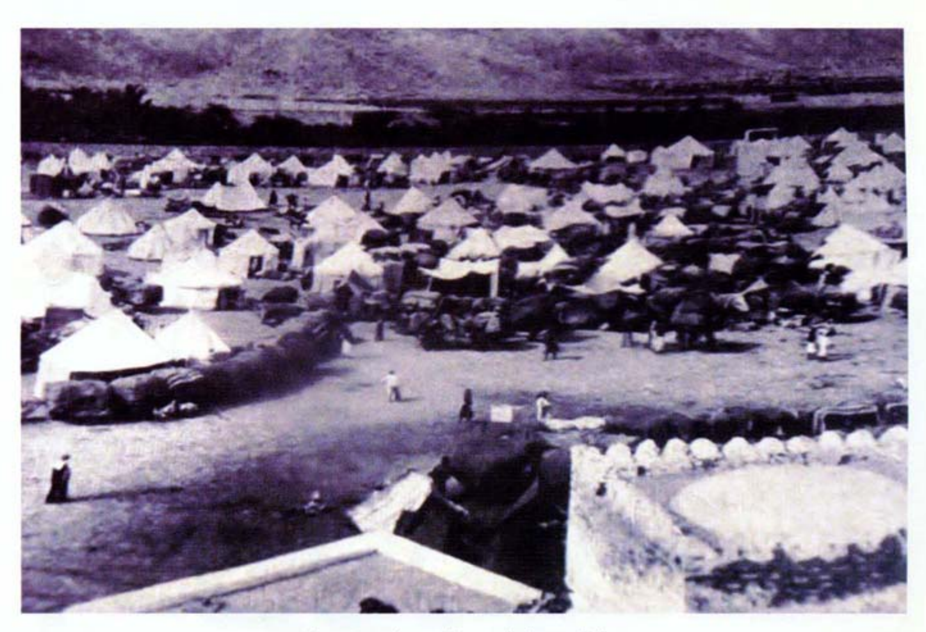
لقد سار صلى الله عليه وآله وسلم فكان مسيره هداية وتشريعًا، وتعليمًا للمناسك، ودلالة على الخير.

■■■■

خريطة حجة الوداع



في مكة



صورة قديمة لمخيم الحجاج بذي طوى
وفي الطرف الأيمن يظهر سطح البناء القائم على بئر طوى

قَطَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم الطريق بين مكة والمدينة في ثمانية أيام، تعرَّض فيها لنَصَب الطريق ووَعْثَاء السَّفَر، ولذلك لما قرب من مكة بات قريبًا منها يستريح هناك، ويتهيأ لدخولها نهارًا، بنظافة وقوة ونشاط، وحسن ترتيب لمَن معه، ولإتاحة الفرصة للناس لمتابعته في عمله العظيم، فبات عند بئر «ذي طُوى»(٦٩) في المكان المعروف اليوم بـ «جَرْوَل»، أو «آبار الزاهر».

فلما أصبح صلَّى الفجر على أَكَمَةٍ غليظة عند البئر، ثم عرض على أصحابه التمتع، فقال: «**مَن أراد منكم أن يجعلها عمرة فليجعلها عمرة**»(٧٠).

ثم اغتسل صلى الله عليه وآله وسلم لدخول مكة، فألقى عنه وَعْثَاءَ السفر، وتهيَّأ لدخولها جَامًّا نشطًا.

ثم دفع صلى الله عليه وآله وسلم مستقبِلًا الجبل الطويل الذي بينه وبين الكعبة، ويُسمَّى: جبل أَذَاخِرَ؛ لينصب إلى مكة من ثنية كَدَاء، وهي التي تنزل اليوم على جسر الحَجُوْن(٧١)، ثم أخذ ذات اليمين منهبطا في مَسِيل



بئر طوى قديمًا



بئر طوى حديثًا

الوادي متوجهًا إلى المسجد الحرام، وكان في مسيره ذلك لَهِجًا بالتلبية، ولم ينقطع صوته بالتلبية حتى دخل بين بيوت مكة، فاستقبله صبية من بني عبد المطلب، فحمل واحدًا بين يديه وآخر خلفه(٧٢).

وكان دخوله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحد الرابع من ذي الحِجَّة، وقد دخلها عند ارتفاع الضحى جهارًا نهارًا؛ ليراه الناس فيقتدوا به، فأناخ راحلته عند باب المسجد، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم دخل من الباب الذي كان يدخل منه يوم كان بمكة؛ باب بني شيبة(٧٣).

في فناء الكعبة:

دخل صلى الله عليه وآله وسلم الحرمَ، فإذا هو على ملة أبيه إبراهيم، ليس حول الكعبة صنم، ولا يطوف بها عُريان، ولم يحج إليها مشرك، دخل النبي الحرم.

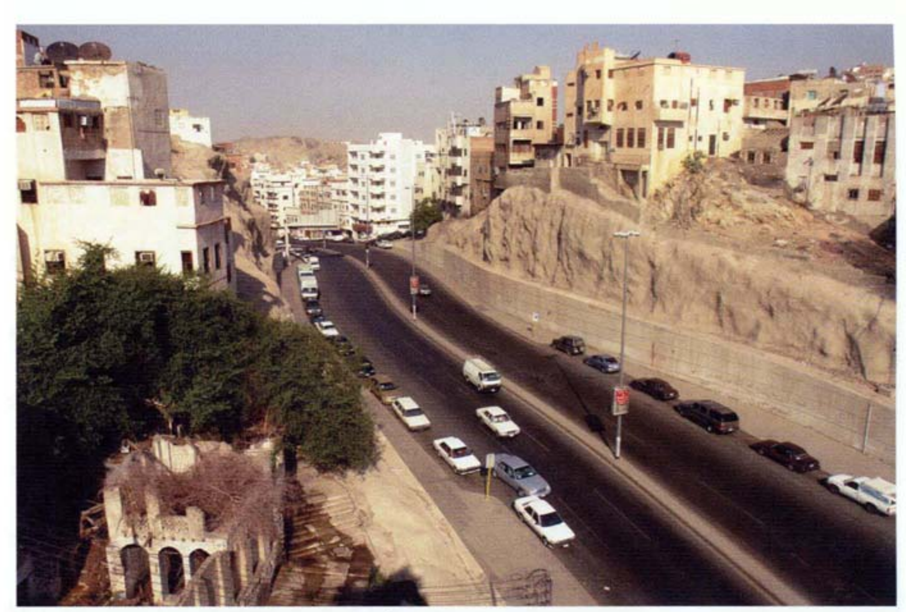
فيالله ما الذي كان يتداعى في خاطره تلك الساعة، وساحة الحرم تتفسح أمام عينيه؛ هذه الساحة التي شهدت دعوته وبلاغه وبلاءه، وصبره على أذى قومه وجراءتهم عليه..

أما دخل الحرم ليصلِّي فيه قبل نحو عشر سنين، فألقوا سَلَى الجَزُورِ على ظهره وهو ساجد(٧٤)!

أما دخل الحرم فقام إليه ملأ من قريش، فأخذوا بمجامع ردائه فخنقوه به، حتى جاء أبو بكر فخلَّصه منهم، وهو يقول: أَتقتُلون رجلًا أن يقولَ ربي اللهُ(٧٥)؟!



ثنية كداء قديمًا



ثنية كداء حديثًا

هل تذكَّر صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الساعة أحواله تلك في مكة، وهو يدخل الحرم وليس فيه ولا معه إلا مؤمن به متَّبع لدينه، وقد صدقه ربه وعده، وأظهره على الدين كله.

إننا لا نستطيع الجزم بالذي كان يتداعى في خاطره، ويجول في خلده صلى الله عليه وآله وسلم، ولكننا نستشعر من حاله أن تلك الذكريات كانت تتراءى له، وأنه كان على حال من التأثر وهو يَدِفُّ إلى الكعبة المشرَّفة، فإنه لما وصل الحَجَر استلمه وكبَّر، ثم فاضت عيناه بالبكاء، ثم وضع شفتيه عليه، فقبَّله وسجد عليه[(٧٦)]، وكان به حفيًّا، وكان موقفًا تسكب فيه العبرات[(٧٧)].

ثم طاف صلى الله عليه وآله وسلم بالبيت سبعة أشواط، مُضْطَبِعًا بردائه، وكان رداؤه بردًا حضرميًّا أخضر، ورَمَل في الأشواط الثلاثة الأُوَل، ومشى في الأشواط الأربعة بعدها على هينته، وكان من دعائه بين الركنين: «﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]»[(٧٨)].

ورأى في طوافه رجلًا قد ربط يده إلى رجل آخر بسير أو بخيط يقوده به، فقطعه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بيده، ثم قال: «**قُدْهُ بيده**». قال: يا رسول الله، إنه نَذْرٌ، إنا نذرنا لنقترنن حتى نأتي الكعبة -وكان من عادات الجاهلية الاقتران في الحج- فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أطلقا أنفسكما وحُجَّا، إن هذا ليس نذرًا، إنما النذر ما يبتغى به وجه الله، إن هذا من عمل الشيطان**»[(٧٩)].



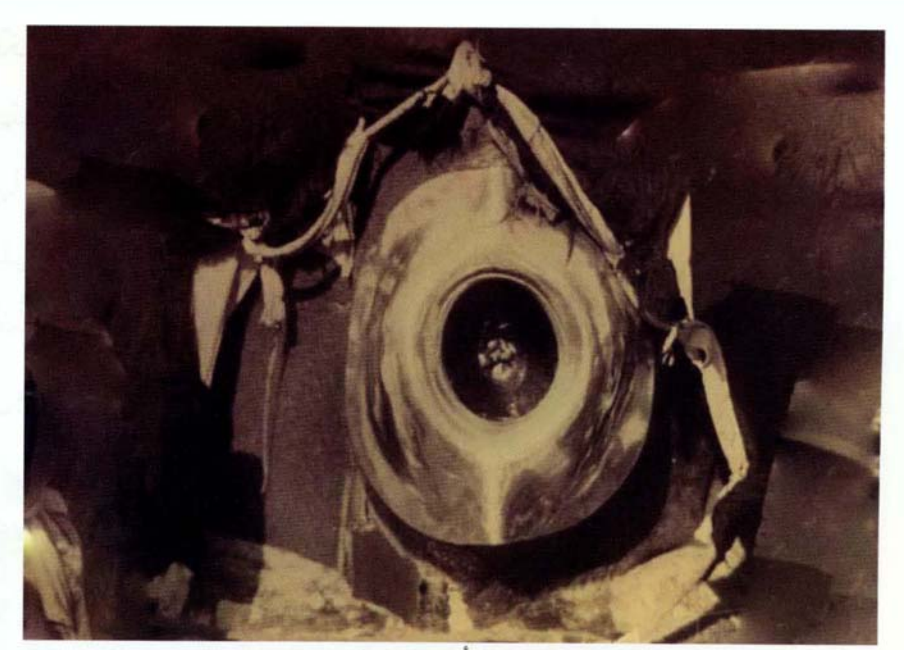
باب بني شيبة

فكان صلى الله عليه وآله وسلم وهو في طوافه ينقِّي شعائر الحج من كل ما ألحقه بها أهل الجاهلية، ويعيدها إلى نقائها ونصاعة المحجة البيضاء التي أتى بها، وتركنا عليها.

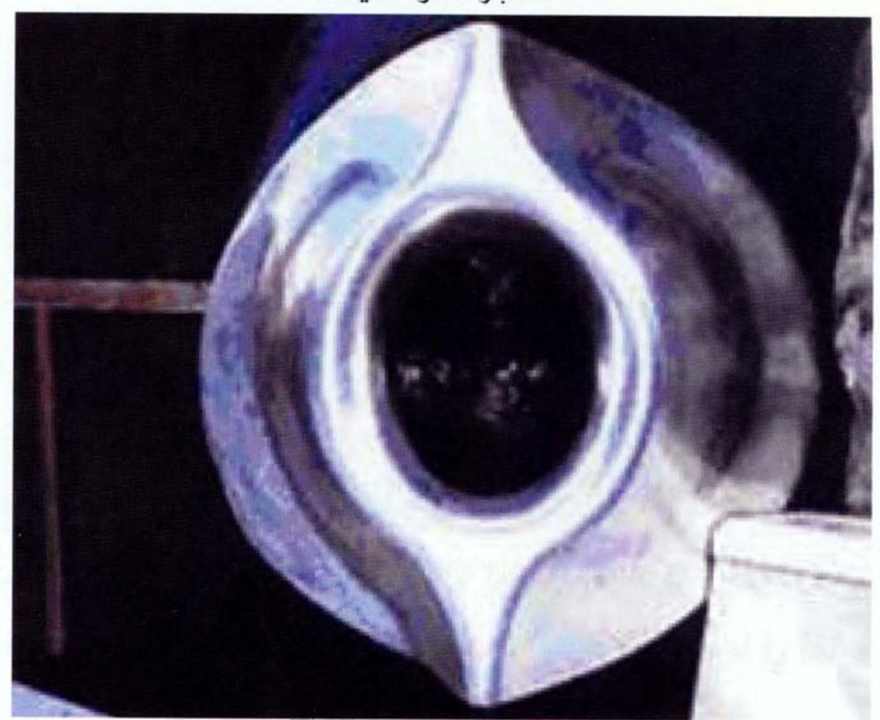
فلما فرغ من طوافه مشى إلى مقام أبيه إبراهيم عليه السلام، وهو يقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. يرفع بها صوته يُسمِع الناس، فجعل المقام بينه وبين البيت، وكان المقام ملصقًا بحائط الكعبة الشرقي[٨٠]، فصلَّى ركعتين، قرأ في الأولى بفاتحة الكتاب، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٨١]. فلمَّا سلَّم ذهب إلى زمزم، فشرب منها، وصب على رأسه، ثم عاد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحَجَر فقبَّله، ومسحه بيديه، ثم مسح بهما وجهه[٨٢].

بين الصفا والمروة:

ثم خرج صلى الله عليه وآله وسلم من باب الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: «﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، **أَبدأُ بما بَدَأ اللهُ بِهِ**». فبدأ بالصفا، فرقي عليه، حتى نظر إلى البيت، فاستقبله، ورفع يديه الشريفتين، وهو يهتف: «**لا إله إلا الله، والله أكبر، وسُبحانَ الله، والحمدُ لله، لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، له المُلْكُ، وله الحَمْدُ، يحيي ويميتُ، وهُو علَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ، لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنجز وَعْدَهُ، ونصَر عَبْدَه، وهزَم الأَحزَابَ وَحْدَهُ**»[٨٣]. قال ذلك ثلاث مرات، ودعا في مقامه



الحجر الأسود قديمًا



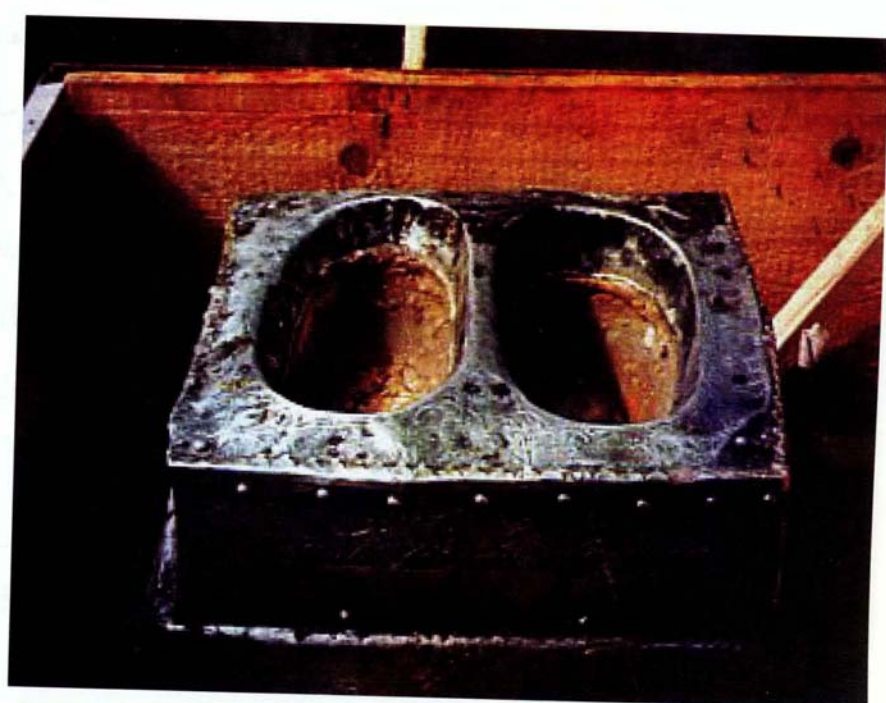
الحجر الأسود حديثًا

ذلك ما شاء الله أن يدعو.

ثم نزل ماشيًا، فلما انصبت قدماه في بطن الوادي أسرع صلى الله عليه وآله وسلم واشتد في السعي، وهو يقول: «**لَا يُقْطَعُ الأَبْطَحُ إِلَّا شَدًّا، اسْعَوا؛ فإنَّ اللهَ كتَب عليكمُ السَّعْيَ**». واشتد صلى الله عليه وآله وسلم في السعي وهو الأَيِّد القوي، حتى إن إزاره ليدور على ركبتيه من شدة السعي، وكان في الثالثة والستين من عمره المبارك، حتى إذا تجاوز بطن الوادي مشى، حتى أتى المروة فرقيها، حتى نظر إلى البيت، فاستقبله، وكبَّر وهلَّل، ورفع يديه ودعا، وصنع على المروة كما صنع على الصفا(٨٤).

وفي هذه الأثناء فشا الخبر في مكة، وتنادى الناسُ: رسولُ الله في المسجد، رسولُ الله على الصفا، رسولُ الله على المروة.. ولفظت البيوت مَن فيها، جاءت القلوب المَشُوْقَةُ، والعيون الظامئة، تريد أن ترى مُحَيَّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى خرج العَوَاتِقُ والإماء يقلن: هذا رسول الله، هذا رسول الله! وازدحم الناس عليه ينظرون إلى وجهه المنوَّر، فلما كثروا حوله- وكان صلى الله عليه وآله وسلم كريمًا سهلًا، لا يُضرَبُ الناس بين يديه، ولا يقال: إليك إليك. ولا: عنك عنك- أمر براحلته فركبها؛ لِيُشْرِفَ للناس، ليسألوه ويروه كلهم؛ شفقة عليهم، ورأفة ورحمة بهم، فأتم سعيه راكبًا(٨٥).

فلما قضى سعيه، وكان في آخر طوافه على المروة، أمر مَن لم يسق الهَدْي من أصحابه أن يحلوا من إحرامهم ويجعلوها عمرة، فقال: «**مَن كان منكم**





مقام إبراهيم

أَهْدَى، فإنه لا يحلُّ من شيء حَرُمَ منه حتى يقضيَ حجَّهُ، ومَن لم يكن منكم أهدى، فليطف بالبيت، وبالصفا والمروة، وليقصِّر[٨٦] **وليَحْلِلْ، ثم أقيموا حلالًا، حتى إذا كان يوم التروية فأهلوا بالحج، واجعلوا التي قدمتم بها متعة، وأهدوا فمَن لم يجد هديًا؛ فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله**»[٨٧].

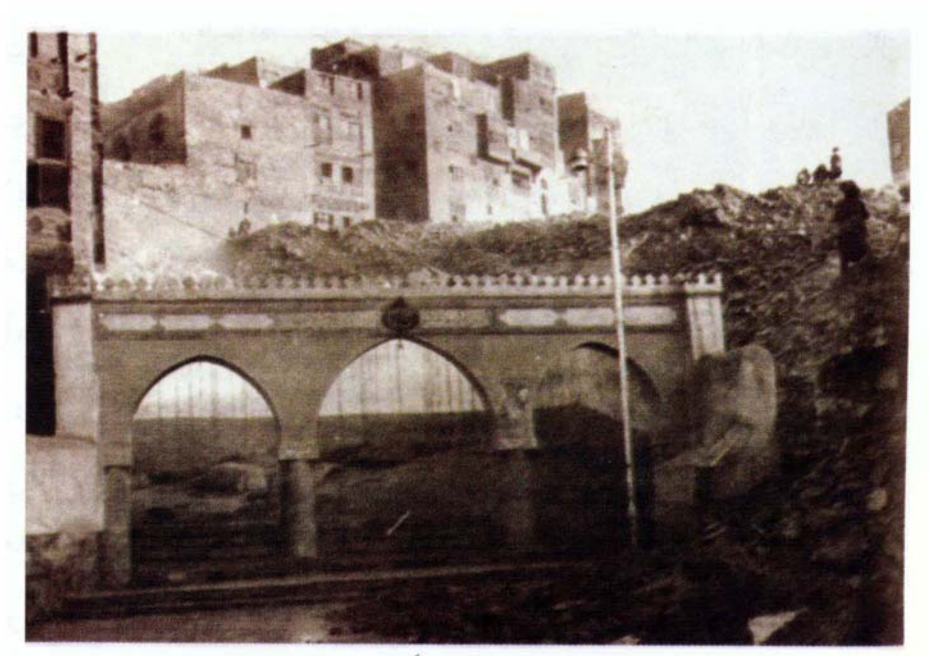
وأمر صلى الله عليه وآله وسلم نساءه أن يحللن، فأحللن إلا عائشة رضي الله عنها؛ لما كان من حيضها، وقالت له حفصة رضي الله عنها: ما يمنعك أن تحل؟ قال: «**إنِّي لَبَّدْتُ رأسي، وقلَّدتُ هَدْيي، فلا أَحِلُّ حتى أنحرَ هَدْيي**»[٨٨].

وقد تعاظم الصحابة رضي الله عنهم ذلك، وشق عليهم، حتى قال جابر رضي الله عنه: كبر ذلك علينا، وضاقت به صدورنا[٨٩].

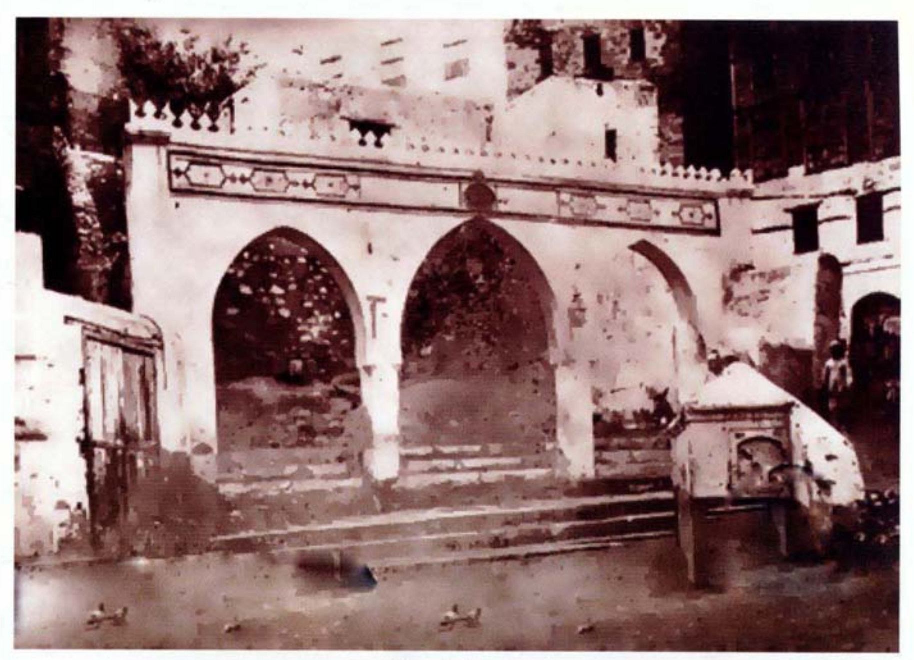
تعاظموه؛ لأنهم خرجوا من المدينة يلبُّون مهلِّين بالحج مفردين، لا يذكرون إلا الحج، يصرخون به صُراخًا، فكيف يفسخونه إلى عمرة؟ ولذا قالوا: كيف نجعلها متعة، وقد سمَّيْنَا الحج؟!

ثم عظم عليهم كيف يؤدُّون العمرة في أشهر الحج وأيامه، وكانوا في الجاهلية يرون العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور[٩٠].

ثم كيف يحلون ويتمتعون بما يتمتع به المحل، وليس بينهم وبين يوم عرفة إلا أربعة أيام؟ حتى قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيَّ الحلِّ؟ قال: «**الحلُّ كُلُّهُ**». فجعلوا يتذاكرون بينهم، ويقولون: خرجنا



الصفا قديمًا



الصفا قديمًا

حجاجًا، لا نريد إلا الحج، حتى إذا لم يكن بيننا وبين عرفة إلا أربع ليال، أمرنا أن نفضي إلى نسائنا، فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المني من النساء[٩١]؟

وأما أنه شق عليهم؛ فإنهم يرون رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أمامهم لم يحل، وإنما لزم إحرامه، وهم الذين أُشربت قلوبُهم حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحب متابعته فيما يأتي ويذر، ولذا تباطؤوا في إجابته، طمعًا في أن يشركوه في حاله التي هو عليها من عدم الحل.

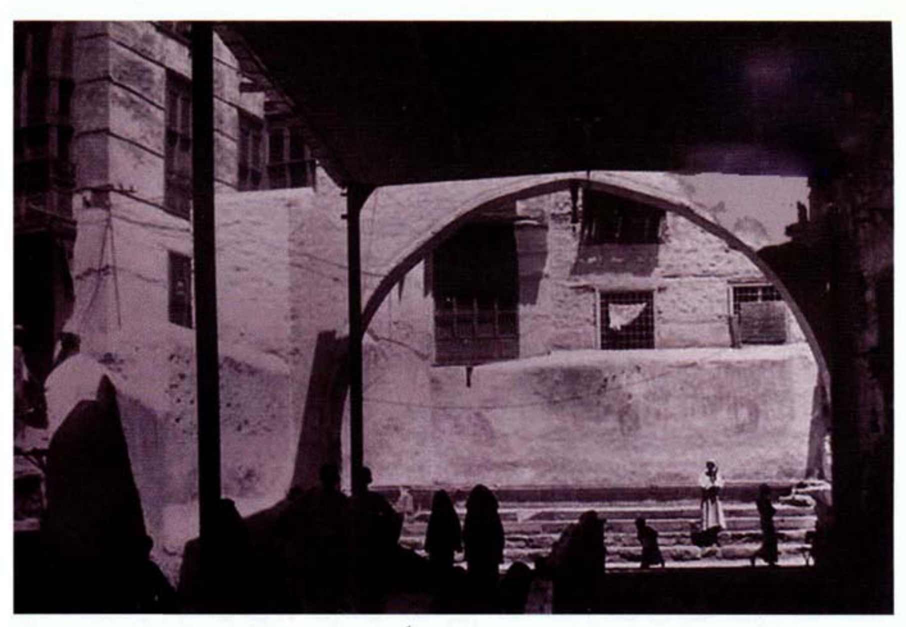
ورأى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم تباطُؤَهم وتردُّدَهم، فغضب من ذلك، ودخل على عائشة رضي الله عنها، تعرف من حاله الغضب، حتى ظنت أن أحدًا آذاه وأغضبه، فقالت: مَن أغضبك يا رسول الله، أدخله الله النار؟! قال: «**أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمرتُ النَّاسَ بأَمْرٍ، فإذا هُم يَتَرَدَّدُون؟!**».

وبلغ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ما يقوله الناسُ، فما يدرون، أشيء بلغه من السماء، أم شيء بلغه من قِبَل الناس، فقام صلى الله عليه وآله وسلم فيهم خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أبالله تعلِّموني أيها الناس! قد عَلِمتُم أَنِّي أَتْقاكُمْ لله، وأَصْدَقُكُم وأَبَرُّكُم، افعلوا ما آمركم به؛ فإنه لولا هَدْيِي لَحَلَلْتُ كما تَحِلُّون، ولو اسْتَقبَلتُ مِن أَمْرِي مَا اسْتدبرتُ لَم أَسُقِ الهَدْيَ؛ فحِلُّوا**»[٩٢].

فطابت قلوبهم، وقرَّت أعينهم بمقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، وقصَّروا وحَلُّوا، ولبسوا ثيابهم، وتطيبوا بطيبهم، وأفضوا إلى نسائهم، وسمعوا وأطاعوا، كما هو شأنهم أبدًا مع رسول الله صلى الله عليه



المروة قديمًا



المروة قديمًا



وآله وسلم، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

وقام سُراقة بن مالك بن جُعْشُم رضي الله عنه، وهو في أسفل المروة، فقال: يا رسولَ الله، أرأيت متعتنا لعامنا هذا، أم لأبد الأبد؟ فشبَّك رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أصابعه واحدة في أخرى، وقال: «**لا، بل لأبد أبدٍ، لا ، بل لأبد أبد، لا، بل لأبد أبد، دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة**»[٩٣].

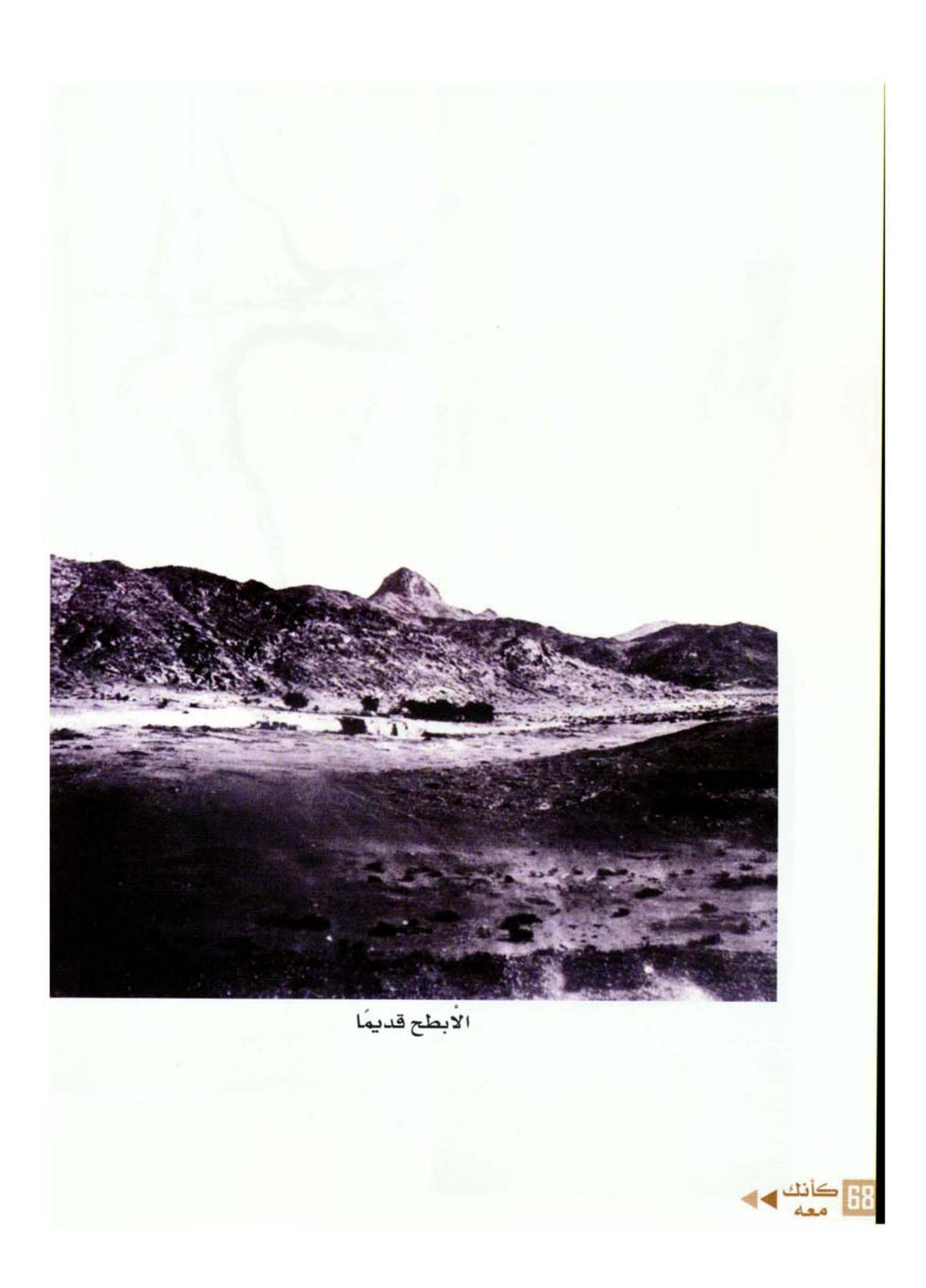
ثم قال سُراقة: يا رسول الله، بيِّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «**لا، بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير**». قال: ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا؛ فكل مُيَسَّر لما خُلق له**»[٩٤].

بقي أن نتذكَّر أن هذا الأعرابي المُدْلِجي الذي يسائل النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم هذه المساءلة، هو ذاك الذي كان قبل عشر سنين يركض فرسه شاهرًا رمحه يلاحق النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم في طريق الهجرة، يريد أن يظفر به حيًّا أو ميتًا؛ فينال به جائزة قريش التي ستعطيها لمَن أسر محمدًا أو قتله[٩٥]، وها هو اليوم يقف بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنًا يسأل عن أمر دينه وعمله وآخرته، وصدق الله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣].

خريطة الدخول إلى مكة



في الأبطح



الأبطح قديمًا

سار صلى الله عليه وآله وسلم بمَن معه حتى نزل بالأَبْطَح شرق مكة، وهو مكان فسيح واسع به آبار مياه لسقيا الناس، فهو الأرفق لنزول هذا الجمع العظيم، ويشمل الأبطح اليوم ما يسمى «المعابدة» و«الجميزة» إلى «الْحَجُوْن»، وكان منزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يعرف اليوم بالجعفرية، وهي أدنى الأبطح إلى الحَجُون.

نزل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه، وكانوا على الحال التي وصفتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت وهي تشير إلى منزلهم: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ها هنا، ونحن خفاف الحقائب، قليل ظهرنا، قليلة أزوادنا[٩٦].

وأقام صلى الله عليه وآله وسلم بالناس في الأبطح أربعة أيام؛ يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، وكان رفيقًا بالناس، ومن رفقه بهم أنه لم يذهب إلى المسجد الحرام والكعبة المشرفة خلال تلك المدة[٩٧]؛ لأنه لو ذهب لسارت معه هذه الجموع العظيمة، ولشق ذلك عليهم، ولكن



الأبطح حديثًا



الأبطح حديثًا

صلَّى بهم هناك في الأبطح، وهذا دليل من أدلة كثيرة على أن الحرم كله محلُّ مضاعفة الصلاة، وليس ذلك خاصًّا بمسجد الكعبة.

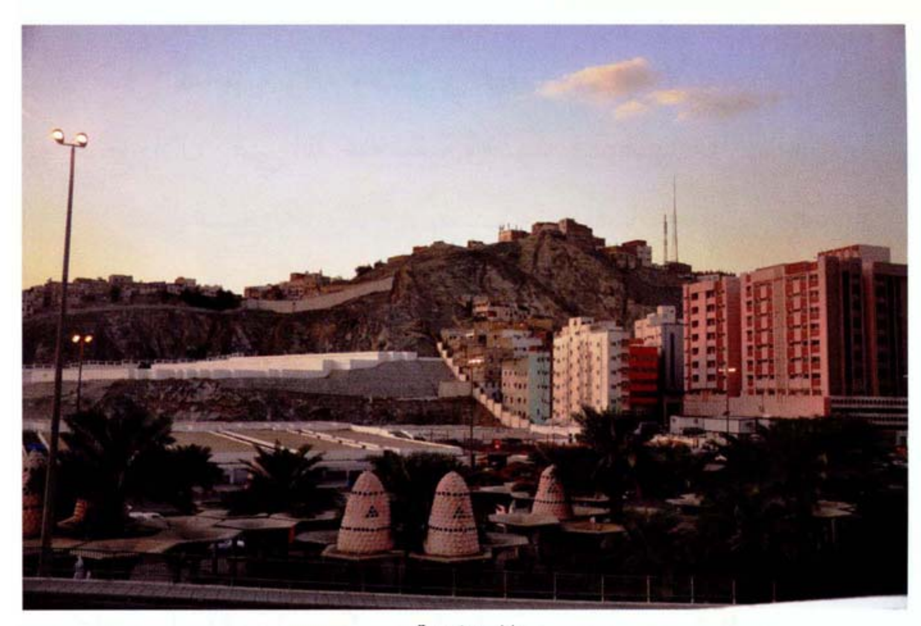
وكان صلى الله عليه وآله وسلم قريبًا من الناس، والناس قريبون منه، يهابه كل أحد ويدنو منه كل أحد؛ يسعهم بالخلق العظيم الذي جبله عليه ربه، فحدَّث أبو جُحَيفة رضي الله عنه عن مشهد من مشاهده مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيامه تلك، وكان يومها غلامًا في نحو العاشرة من عمره، فقال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالهاجرة، وعليه حلة حمراء مُشمِّرًا، كأني أنظر إلى بَرِيق ساقيه، فصلَّى بالناس ركعتين، فلما قضى صلاته قام الناس إليه، فجعلوا يأخذون بيديه فيمسحون بها وجوههم، فأخذتُ بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحةً من المسك.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم في قبة حمراء في الأبطح، فإذا توضأ لصلاته خرج بلال رضي الله عنه ببقية وَضوئه فيفيضها على الناس، فمَن أصاب منها شيئًا تمسَّح به، ومَن لم يُصِب منها أصاب من بلل صاحبه، يبغون بركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يخرج بلالٌ رضي الله عنه ومعه حربة قصيرة، فيغرزها لتكون سترة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلَّى، ثم يخرج صلى الله عليه وآله وسلم فيصلِّي بهم[٩٨].

وتتابع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأبطح مَن لم يدركه في الطريق، وكان ممن أتاه هناك عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه قادمًا من اليمن، وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد بعثه قبل حجة الوداع ليقبض



الجعفرية حيث نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأبطح



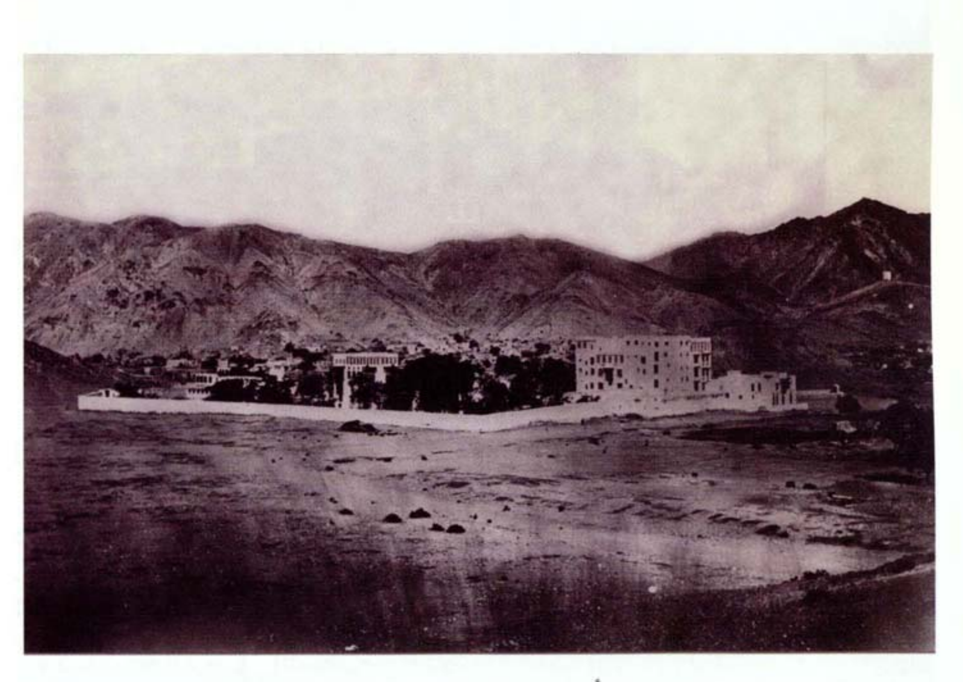
الجعفرية



الخمس، فقدم من سعايته محرمًا بإحرامٍ كإحرام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما دخل رضي الله عنه على زوجه فاطمة بنت رسول الله -وكانت قد حلت من عمرتها- وجدها قد لبست ثيابًا مصبوغة، واكتحلت، وطيَّبت بيتها، فعجب من حالها، وحِلِّها من إحرامها، وسألها عن ذلك، فقالت: أبي أمرني بذلك. فذهب عليٌّ محرِّشًا أباها عليها، كما يصنع الشَّبَبَة من الأزواج، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن فاطمة قد حلَّت واكتحلت ولبست ثيابًا صبيغًا، وزعمت أنك أمرتها بذلك يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**صَدَقتْ، صدَقتْ، صدَقتْ، أنا أمَرتُها بِهِ**». ثم قال لعلي رضي الله عنه: «**بم أَهلَلْتَ؟**». قال: قلتُ: اللهم إني أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسولُك. وكان معه الهدي، فقال له: «**فلا تَحِلَّ**»[٩٩].

وجاء أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: «**بم أهللتَ؟**». قال: بإهلالٍ كإهلال النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قال: «**هل سُقْتَ هَدْيًا؟**». قال: لا. قال: «**فانْطلِقْ فَطُفْ بالبَيْتِ وبينَ الصَّفَا والمَرْوةِ، ثُمَّ حِلَّ**»[١٠٠].

ومع انشغاله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الناس، واستغراقه في القيام بشؤونهم، فإنه لم يغفل تفقد أصحابه ورعايتهم؛ فها هو يذهب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعوده من مرض اشتد به، فلما دخل عليه وجده وجعًا قد أَشْفَى على الموت، فلما رأى النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم بكى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما يبكيك؟**». قال: خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها، كما مات سعد بن خَوْلة. فقال صلى

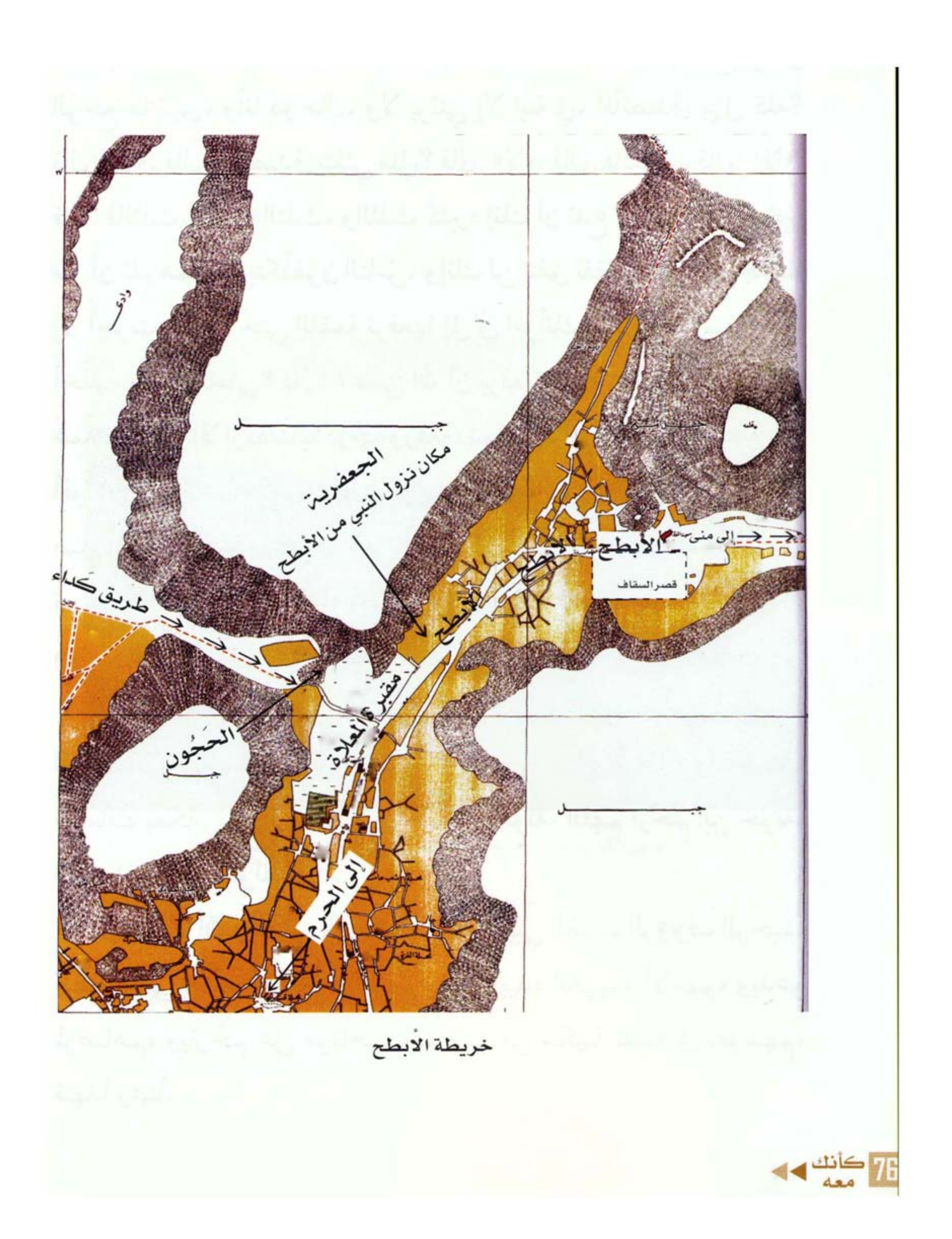


صورة قديمة للأبطح في المنطقة المعروفة اليوم بالمعابدة

الله عليه وآله وسلم: «**لا إن شاء الله**». قال: يا رسول الله، إنه قد بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بمالي كله؟ قال: «**لا**». قال: أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «**لا**». قال: فالشطر. قال: «**لا**». قال: فالثلث. قال: «**الثلث، والثلث كثير؛ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفَّفون الناسَ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتى اللقمة ترفعها إلى فِي امرأتك**». قال: يا رسول الله، أُخَلَّفُ بعد أصحابي؟ قال: «**عسى الله أن يرفعك، وإنك لن تُخَلَّف فتعمل عملًا صالحًا، إلا ازددت به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تخلَّف حتى ينتفعَ بك أقوامٌ، ويُضَرَّ بك آخرون**». قال: يا رسول الله، فادع الله أن يشفيني. فوضع صلى الله عليه وآله وسلم يده على جبهته، ثم مسح وجهه وصدره وبطنه، ثم قال: «**اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا وأتمم له هجرته**». قال سعد: فمازلت أجد برد يده صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم قال: «**اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم، لكنِ البائسُ سعدُ بن خَوْلة**»؛ يَرْثِي له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ مات بمكة. ثم قال: «**اللهم ارحم ابن خَوْلة، اللهم ارحم ابن خَوْلة، اللهم ارحم ابن خَوْلة**»[١٠١].

فصلوات الله وسلامه وبركاته على هذا النبي الكريم الرؤوف الرحيم، كيف يرعى أصحابه هذه الرعاية، فيمسح بيده الكريمة آلامهم، ويدعو لمرضاهم، ويترحَّم على موتاهم، ويسكب من سكينة نفسه في نفوسهم، فتهدأ وتهنأ.



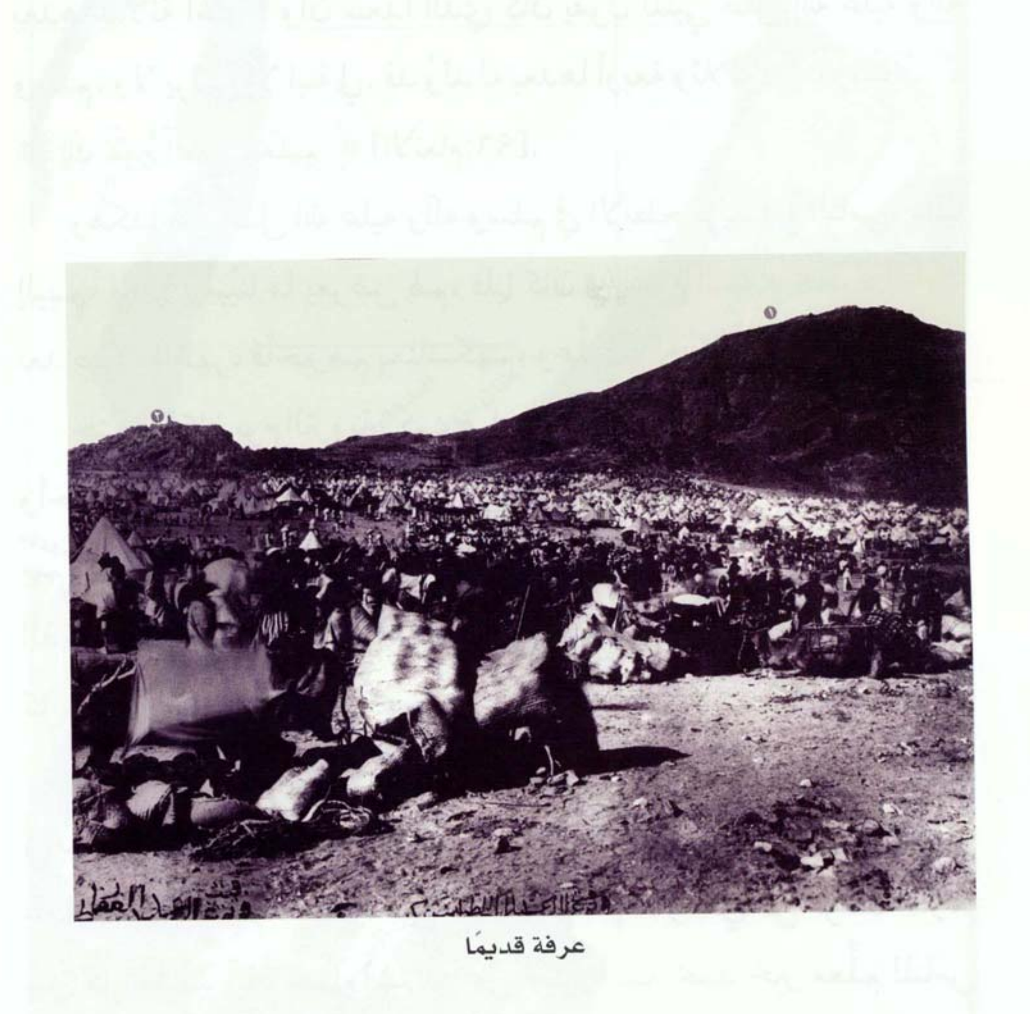
خريطة الأبطح

ثم أعجب أن الصادق المصدوق قال لسعد رضي الله عنه: «**لعلك أن تُخَلَّف**». فعاش سعد بعدها نصف قرن، وتوفي هو صلى الله عليه وآله وسلم بعدها بثلاثة أشهر! وأن سعدًا الذي كان يقول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ولا يرثني إلا ابنة لي. قد وُلد له بعدها أربعة وثلاثون ابنًا وبنتًا(١٠٢)، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦].

وهكذا بقي صلى الله عليه وآله وسلم في الأبطح قريبًا من الناس، دانيًا إليهم، معلِّمًا ومبيِّنًا ما يعرض لهم، فلما كان في اليوم السابع خطبَ الناسَ بعد صلاة الظهر، فأخبرهم بمناسكهم، وعلَّمهم أحكام حجهم(١٠٣).

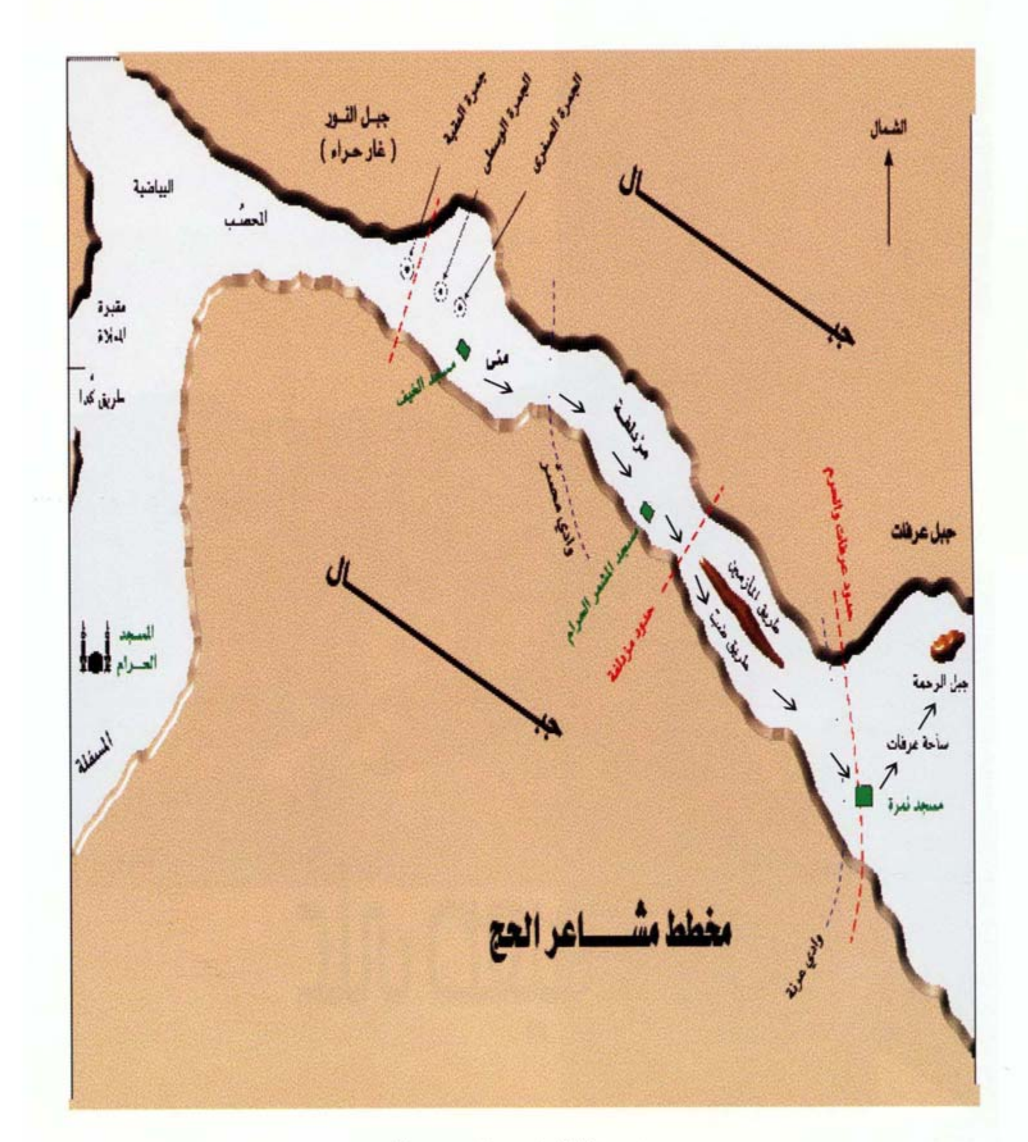
حتى إذا كان يوم التروية ركب صلى الله عليه وآله وسلم إلى منى ضحى، وأحرم الذين كانوا قد حلوا معه من الأبطح مهلِّين بالحج حين انبعثت بهم رواحلهم، وجعلوا ظهورهم إلى مكة، متوجهين إلى منى، فصلَّى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر؛ يقصر الرباعية ركعتين، ويصلِّي كل صلاة في وقتها(١٠٤).

وكأنما كان هذا النفير إلى منى يوم التروية تهيئة وإعدادًا للنفير إلى عرفات في يوم عرفة، ليستتم أعمال الحج ومناسكه قائدًا أمته إلى إرث أبيهم إبراهيم عليه السلام، قائلًا: «**خذوا عني مناسككم**»(١٠٥)، وله في كل موقف عبرة، وفي كل مشهد آية، فصلوات الله على عبده ونبيه محمد خير معلِّم للناس الخير.



عرفة قديمًا


على صعيد عرفات



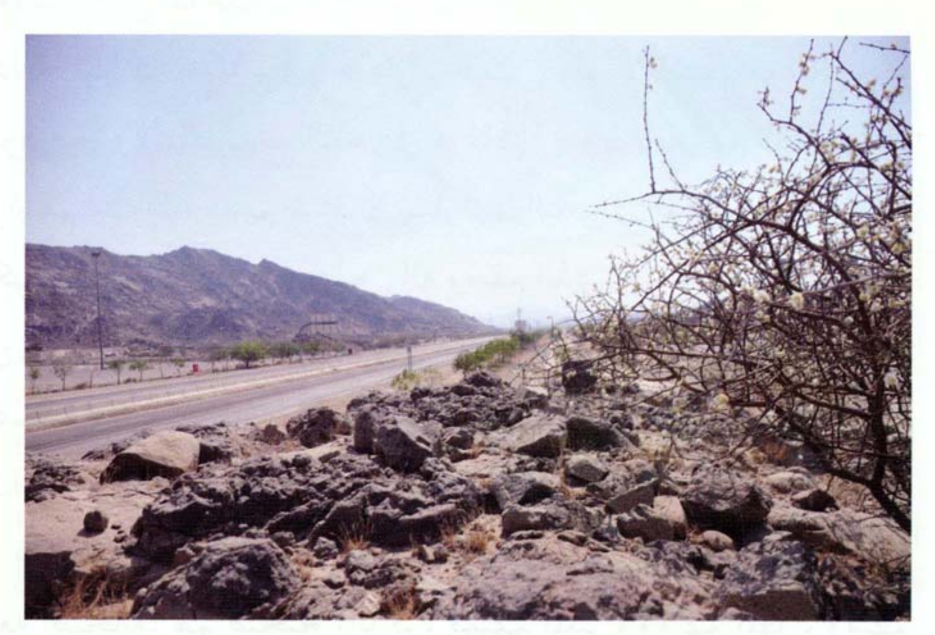
خريطة الطريق إلى عرفة

أشرقت الشمس على خير يوم طلعت عليه الشمس، يوم الجمعة يوم عرفة، التاسع من ذي الحجة، والسابع من شهر مارس آذار، سنة عشر من الهجرة، وسار الركاب الشريف من منى إلى عرفات، وجموع الحجيج تسير معه، سار صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يظن قومه إلا أنه سيقف معهم في مزدلفة- كما كان شأنهم في الجاهلية، حيث جعلوا لأنفسهم موقفًا خاصًّا يقفون فيه، ولا يقفون مع الناس في عرفة؛ إذ يرون لأنفسهم مكانة وتميزًا لجوارهم بيت الله، وأنهم بذلك لا يشاركون الناس في الوقوف في عرفات- ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء بدينه للعالمين، ولم يجئ به لفئة من الناس يميزهم، ولو كانوا قومه وعشيرته، تجاوزهم وسار ليقف مع الناس[١٠٦]؛ عملًا بقول ربه: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾[١٠٧] [البقرة:١٩٩].

فأفاض صلى الله عليه وآله وسلم إلى عرفات من طريق ضَبٍّ[١٠٨]، ومعه أصحابه، لهم ضَجِيْجٌ بالذكر، فمنهم الملبِّي، ومنهم المُهِلُّ، ومنهم



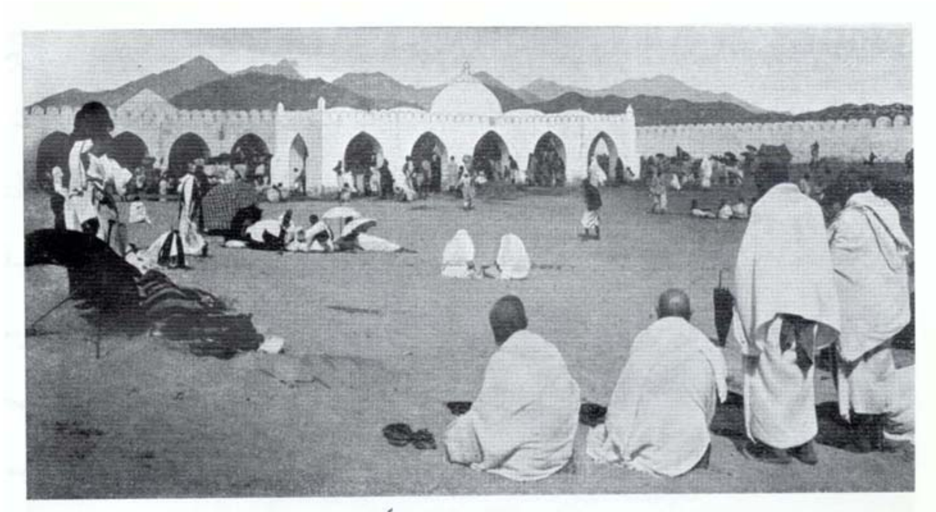
طريق ضب



طريق ضب

المكبِّر، لا ينكر أحد منهم على صاحبه[١٠٩]، حتى وصل إلى «نَمِرَةَ»، فإذا قبة من شعر قد ضُربت لـه هناك، فجلس فيها، حتى إذا زالت الشمس، ركب راحلته القصواء بعد الزوال مباشرة، في قرابة الساعة الثانية عشرة والنصف بتوقيت مكة في شهر مارس آذار، ثم نزل بها إلى بطن «وادي عُرَنَة»، وهو أرض دَمِثَةٌ فسيحة، يسهل اجتماع الناس عليها وجلوسهم فيها، فاجتمع الناس حوله في بطن الوادي، فأشرف صلى الله عليه وآله وسلم على الناس، وقد أمكن قدميه في الغرز، واعتمد بإحدى يديه على مقدَّم الرَّحْل، وبالأخرى على مُؤَخَّره؛ يتطاول بذلك، ونادى: «**يا أيها الناس، أنصتوا؛ فإنكم لعلكم لا تروني بعد عامكم هذا**». فأَصَاخَتْ له المسامع، واشْرَأَبَّتْ له الأعناق، وخفقت بحبه القلوب، وشخصت إليه العيون تنظر إلى محياه، وتتلقَّف قوله؛ ليخطبهم خطبة عظيمة، جمع فيها معاقد الدين، وعصم الملة، وتعظيم الحرمات، فدوى صوته صلى الله عليه وآله وسلم بين أهل الموقِف، حامدًا الله مثنيًا عليه.

ثم قال: «**إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضكم، حرامٌ عليكم، كحُرمةِ يومِكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدِكم هذا، ألا وإن كلَّ شيءٍ من أَمرِ الجاهليةِ موضوع تحتَ قَدَمَيَّ هاتين، ودماءُ الجاهليةِ موضوعةٌ، وإنَّ أوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِن دمائنا دمُ ابنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ بن عبدالمطلب، ورِبا الجاهليةِ موضوعٌ، وأولُ ربًا أَضعُه رِبانَا، رِبا عباسِ بنِ عبد المطلب، فإنه موضوعٌ كُلُّه، وإن كل ربا موضوع، لكم رؤوس أموالكم، لا تَظلمون ولا تُظلمون، قضى الله أن لا ربا.**



مسجد نمرة قديمًا

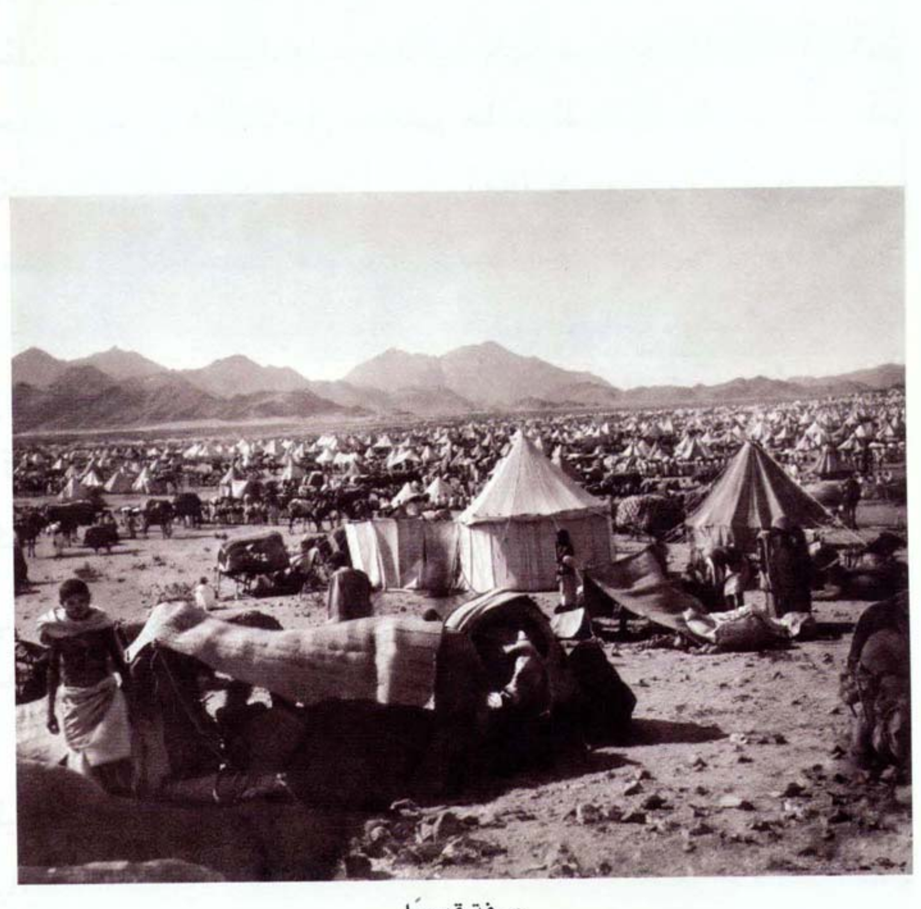


مسجد نمرة حديثًا

أيها الناس، اتَّقُوا اللهَ في النساء؛ فإنكم أَخَذْتُمُوهُنَّ بأمانة الله، واسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بكلمة الله، أَلَا واستوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنما هنَّ عَوانٍ[١٠١] عندكم، لا يَمْلِكْنَ لأنفسهنَّ شيئًا، وليس تملكون منهنَّ شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبيِّنة، وإن لكم على نسائكم حقًّا، ولنسائكم عليكم حقًّا، فأما حقكم على نسائكم: فلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أحدًا تكرهون، ولا يأذَنَّ في بيوتكم لَمن تكرهون، أَلَا وحقهُنَّ عليكم أن تحسنوا إليهنَّ في كسوتهن وطعامهن، فإنْ خِفْتُمْ نُشُوزَهُنَّ فعِظُوهُنَّ، واهْجُرُوهُنَّ في المضاجع، واضربوهنَّ ضربًا غيرَ مُبَرِّحٍ، فإن أطعنكم، فلا تبغوا عليهنَّ سبيلًا، وإني قد تَرَكتُ فيكم مَا لَنْ تَضِلُّوا بعدَه إنِ اعتَصَمْتُم به؛ كتابَ الله، ألا وإني فَرَطكم على الحوض، وأكاثِرُ بكم الأممَ، فلا تسوِّدوا وجهي، أَلَا وإني مُسْتَنْقِذٌ أناسًا، ومُسْتَنْقَذٌ مني أناسٌ، فأقول: يا رب، أُصَيْحابي؟! فيقول: إنَّك لا تَدْري ما أحدثوا بعدَك، فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي، فإنِّي قد بلَّغت»[١١١].

ثم أقبل صلى الله عليه وآله وسلم على هذه الجموع يستشهدهم شهادة عظيمة، شهادة البلاغ والأداء، ويقرِّرهم بجواب السؤال إذا سُئلوا يوم القيامة؛ ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف:٦] قائلًا: «وأَنتُمْ تُسأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنتم قَائِلونَ؟».

ألا ما أعظم السؤال! وما أعظم المقام! ثلاث وعشرون سنة قضاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بلاغ ودعوة، وصبر ومصابرة، وجهد وجهاد، أُخْرِجَ في سبيل بلاغ رسالات الله من بلده، وهي أحب البلاد إليه، وقوتل في بدر، وأصيب في أحد، وحوصر في الخندق، وشَدَّ على



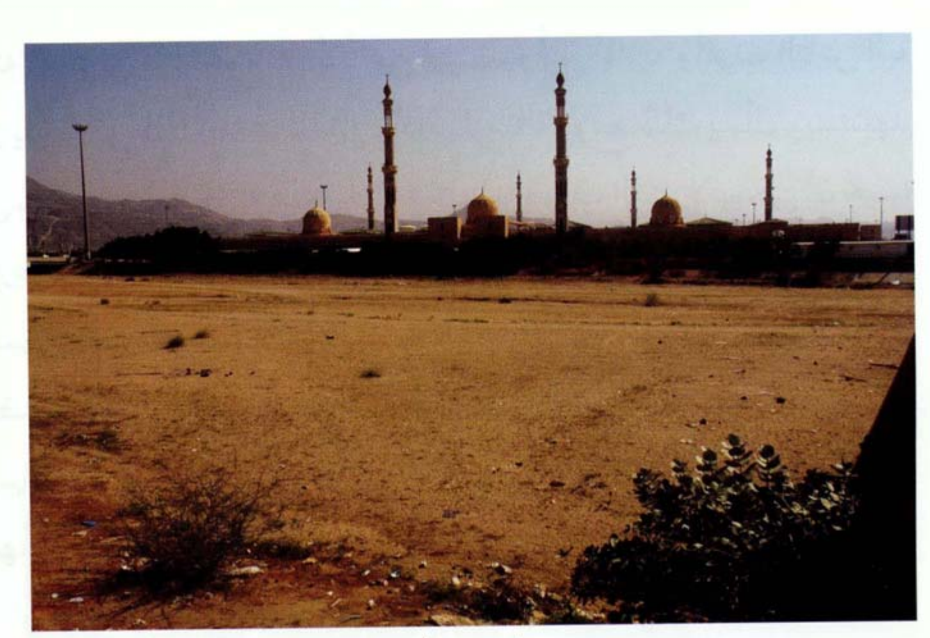
عرفة قديمًا

بطنه حجرين من الجوع، وصُدَّ عن البيت، وقُتِل أقاربه وأقرب الناس إليه بين يديه، كل ذلك بلاغًا للدين وأداءً للرسالة، ومع ذلك يسأل ويستشهد على بلاغه أمته، فأجابته هذه الجموع كلُّها بالجواب الذي لا يمكن أن تجيب بغيره، وشهدت بالشهادة التي لا يحق لها أن تشهد بسواها، نطقت هذه الجموع بفم واحد: نشهد أنك قد بلَّغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك. فرفع صلى الله عليه وآله وسلم إصبعه الشريفة إلى السماء، وجعل يَنْكُتُها إلى الناس[١١٢]، وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهدْ، اللَّهُمَّ اشْهدْ**»[١١٣].

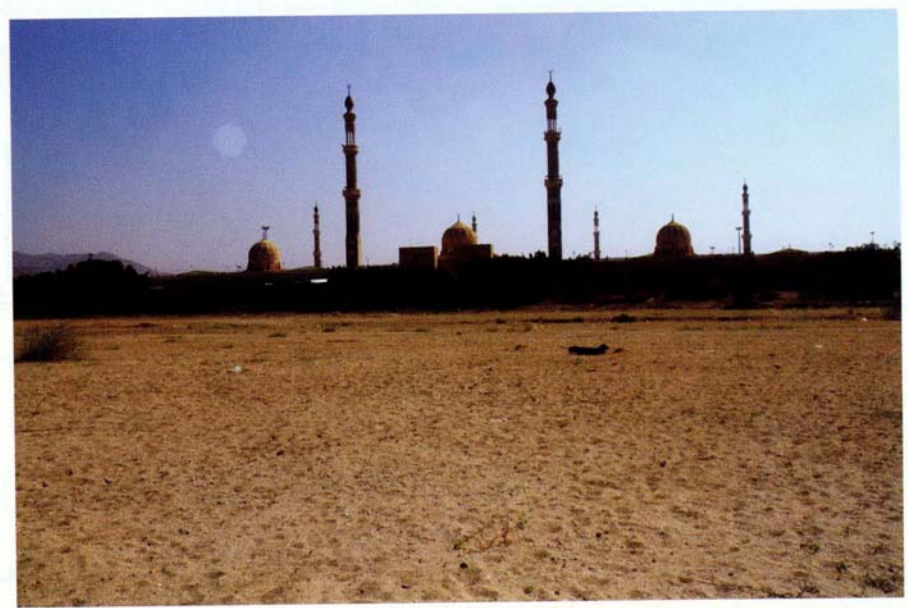
ونحن اليوم بعد ألف وأربعمائة سنة نشهد للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بما شهد له به أصحابه رضي الله عنهم، أنه قد بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وتركنا على المحجة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلَّى الله وسلَّم وبارك عليه.

وكان من عجائب هذا الموقف أن الذي كان يبلِّغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للناس، ويصرخ فيهم بمقاله، هو رَبيعة بن أمية بن خلف رضي الله عنه، وكان رجلًا صيِّتًا، يقول له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**اصرخ بكذا، اصرخ بكذا**». فيصرخ به للناس، يُسمع مَن بَعُدَ منهم.

هذا ابن أمية بن خلف الذي قُتل أبوه في بدر هَبْرًا بالسيوف، وهو يقاتل رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا ابنه يبلِّغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويصرخ في الناس بكلماته.. ألا إنها أنوار النبوة وهدي الرسالة، أطفأت تِرَاتِ الجاهلية في القلوب التي كانت تتوارث



وادي عرنة



وادي عرنة



الحقد، وتستعر فيها حرارة الثأر، فتبدَّلت وعادت خلقًا آخر، لما هطلت عليها فيوض النبوة، فـ ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وقلوبهم التي بين جوانحهم؛ ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٨].

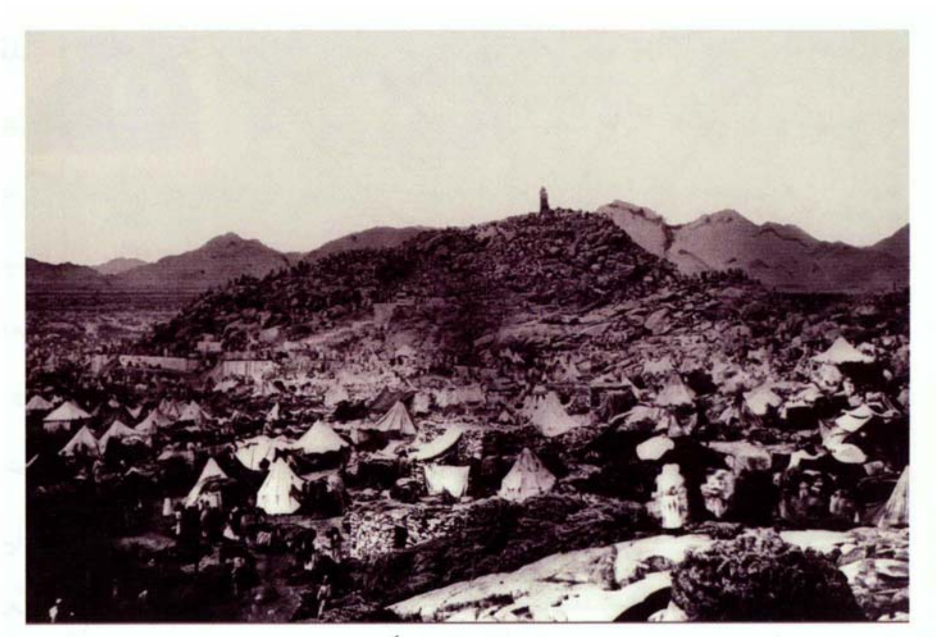
فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خطبته، فأَذَّنَ بلالٌ رضي الله عنه بنداء واحد، ثم أقام فصلَّى الظهر، ثم أقام فصلَّى العصر، ولم يصلِّ بينهما شيئًا، فصلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر قصرًا وجمعًا جمع تقديم[١١٤].

وكأنما بكَّر صلى الله عليه وآله وسلم بالرواح، وقصر الخطبة وجمع الصلاة؛ ليفرغ هو والناس عشية يومهم العظيم المبارك للذكر والدعاء والمسألة.

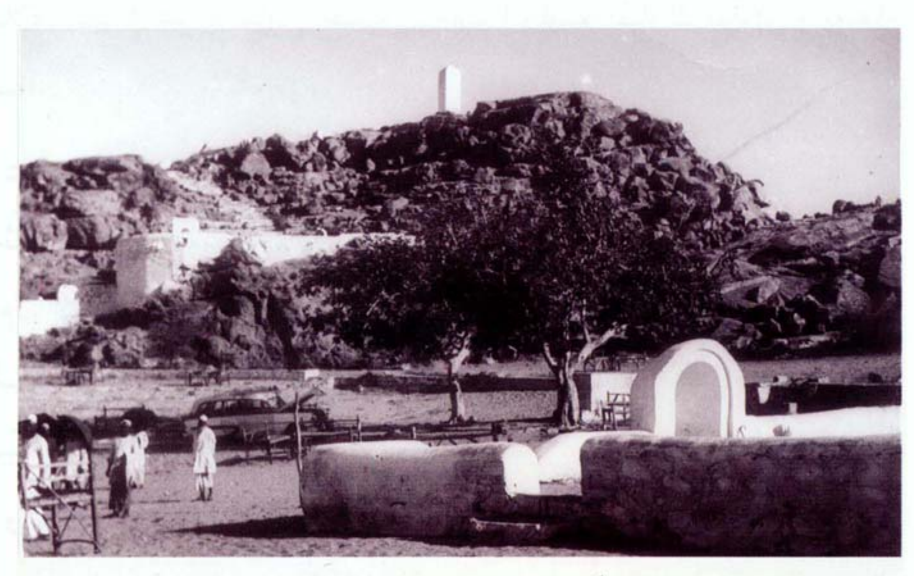
عند جبل الرحمة:

ثم ركب راحلته، ودفع إلى عمق عرفة عند جبل إِلَالٍ، ويسمَّى اليوم: جبل الرحمة، فوقف على راحلته عند ذيل الجبل، وجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات والجبل بين يديه، واستقبل القبلة رافعًا يديه داعيًا وملبيًا[١١٥].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم مع وقوفه في مقامه ذلك قائمًا بأمر الناس، تعليمًا ورعاية وتوجيهًا ودلالة، يأتيه ناس من أهل نجد يسألونه



جبل عرفة قديمًا



جبل عرفة قديمًا، وفي الصورة المسجد المقام على مكان وقوف
النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الجبل

عن الحج، فيقول لهم: «**الحَجُّ عَرَفَةُ**»[١١٦].

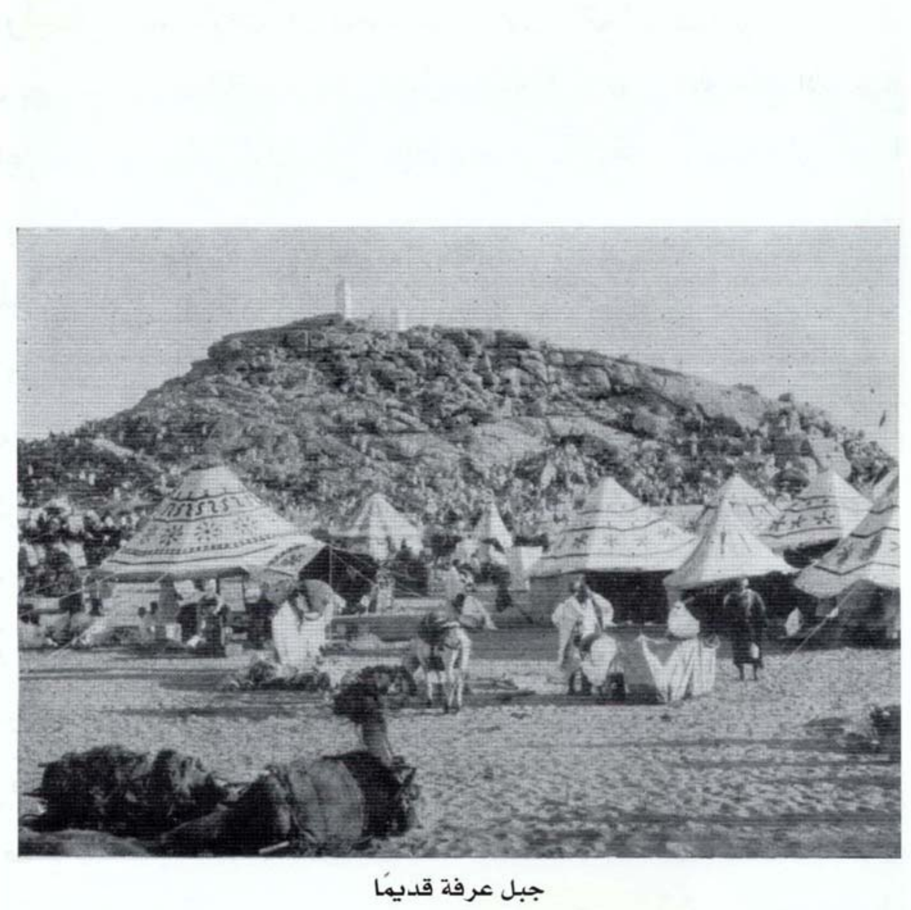
ويخاطب الناس قائلًا: «**وقَفتُ هاهنا، وعرفةُ كُلُّها مَوقِفٌ**»[١١٧].

وأرسل للناس وهم في فجاج عرفة ابنَ مِرْبَعٍ الأنصاريَّ رضي الله عنه، يصرخ بالناس: إني رسولُ رسولِ اللهِ إليكم، يقول لكم: «**كُونُوا علَى مَشاعِرِكُمْ؛ فإنَّكم علَى إرثٍ مِن إرثِ أبيكم إبراهيمَ**»[١١٨].

ويخاطب الناس قائلًا: «**مَن لم يجد الإزار فليلبس السراويل، ومَن لم يجد النعلين فليلبس الخفين**»[١١٩].

ويسقط رجل من أهل الموقف عن راحلته عند الصخرات، فتنفصم عنقه ويموت؛ رجلٌ من غِمار الناس، لا نعرف اسمه ولا قبيلته ولا بلده، ولكن ربه الذي خلقه يعلم حاله وإليه مآله، فيقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**اغسِلوه بماءٍ وسِدْرٍ، وكَفِّنُوه في ثَوْبَيْهِ، ولا تَمَسُّوهُ بِطِيبٍ، ولا تُخَمِّرُوا رأسَه؛ فإنَّه يُبعَثُ يومَ القيامةِ مُلبِّيًا**»[١٢٠].

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في موقفه ذلك بارزًا للناس، مشرفًا عليهم، يجيئه أعرابي من قيس، يقال له: ابن المُنْتَفِق. وُصِف له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتطلَّبه حتى لقيه بعرفات، قال: فزاحمت عليه، فقيل لي: إليك عنه. فقال: «**دَعُوا الرَّجلَ، أَرَبٌ ما لَهُ**». قال: فزاحمت حتى خلصت إليه، فأخذت بخطام راحلته، حتى اختلفت عنق راحلته وراحلتي، فما غيَّر عليَّ، فقلت: شيئان أسألك عنهما: ما ينجيني من النار، وما يدخلني الجنة؟ قال: فنظر إلى السماء، ثم أقبل إليَّ بوجهه الكريم، فقال: «**لئنْ كنتَ أَوْجَزْتَ المَسألةَ، لَقدْ أعظَمتَ وطوَّلتَ، فاعْقِلْ عَلَيَّ: اعْبُدِ اللهَ، لا**



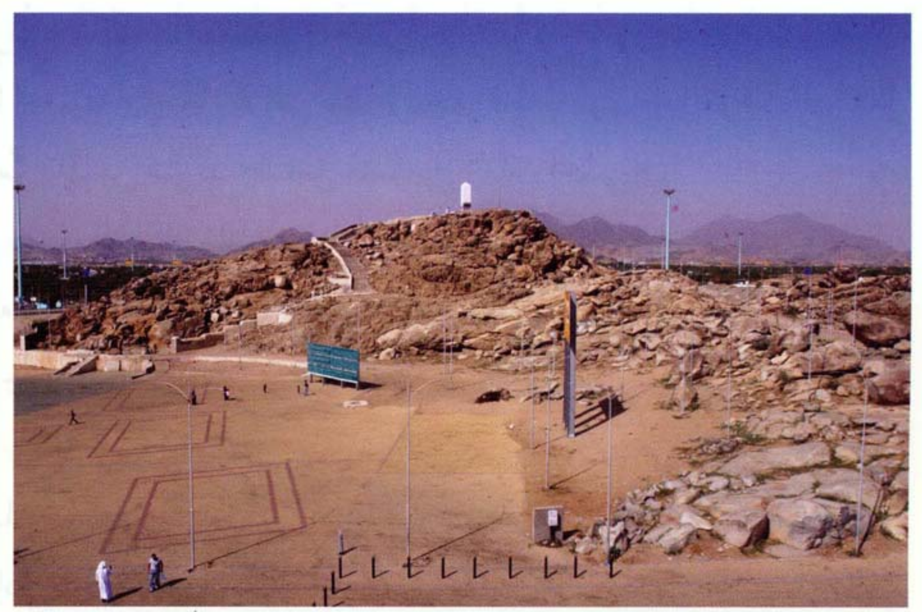
جبل عرفة قديمًا

تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وأَقِمِ الصَّلاةَ المَكتوبةَ، وأَدِّ الزَّكاةَ المَفروضةَ، وصُمْ رمضانَ، وما أحببتَ أن يفعلَ الناسُ بك من خير فافعله بهم، وما كرهتَ أن يفعلَ الناسُ بك من شرٍّ فدع الناسَ منه، خلِّ زمامَ راحلتي»[١٢١].

وجاء الأعراب الذين وافوا الموقِف يطيفون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويدنون إليه ليروا محياه، فإذا استنار لهم وجهه، قالوا: هذا الوجه المبارك[١٢٢].

وينزل الروح الأمين عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي من ربه في هذا الموقف العظيم بهذه الآية العظيمة الشَّاذَّة الفاذَّة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. فسُرِّي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقرأها على الناس، معلنًا كمال الدين وتمام النعمة، وعبودية البشر بالإسلام الذي رضيه لهم ربهم، ولم يرض لهم سواه، فلما سمعها عمرُ رضي الله عنه فقهها واستشعر من معناها أن مهمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد انتهت بكمال الدين، وأنه يوشك أن يلحق بربه الذي أرسله، فاستعبر باكيًا، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما يبكيك يا عمرُ؟**». قال: يا رسولَ الله، أبكاني أنّا كنا في زيادةٍ من ديننا، فأما إذا كمل، فليس بعد الكمال إلا النقصان. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**صدقت**»[١٢٣].

أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قضى عشية يومه ذلك في حال من التضرع واللهج بالدعاء، حتى ظن أصحابه أنه قد صام يومه ذلك؛ لما رأوا من انقطاعه للعبادة والدعاء، فأرسلت إليه أم الفضل بن



جبل إلال المعروف بجبل الرحمة، وموقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده بين اللوحتين تقريبًا

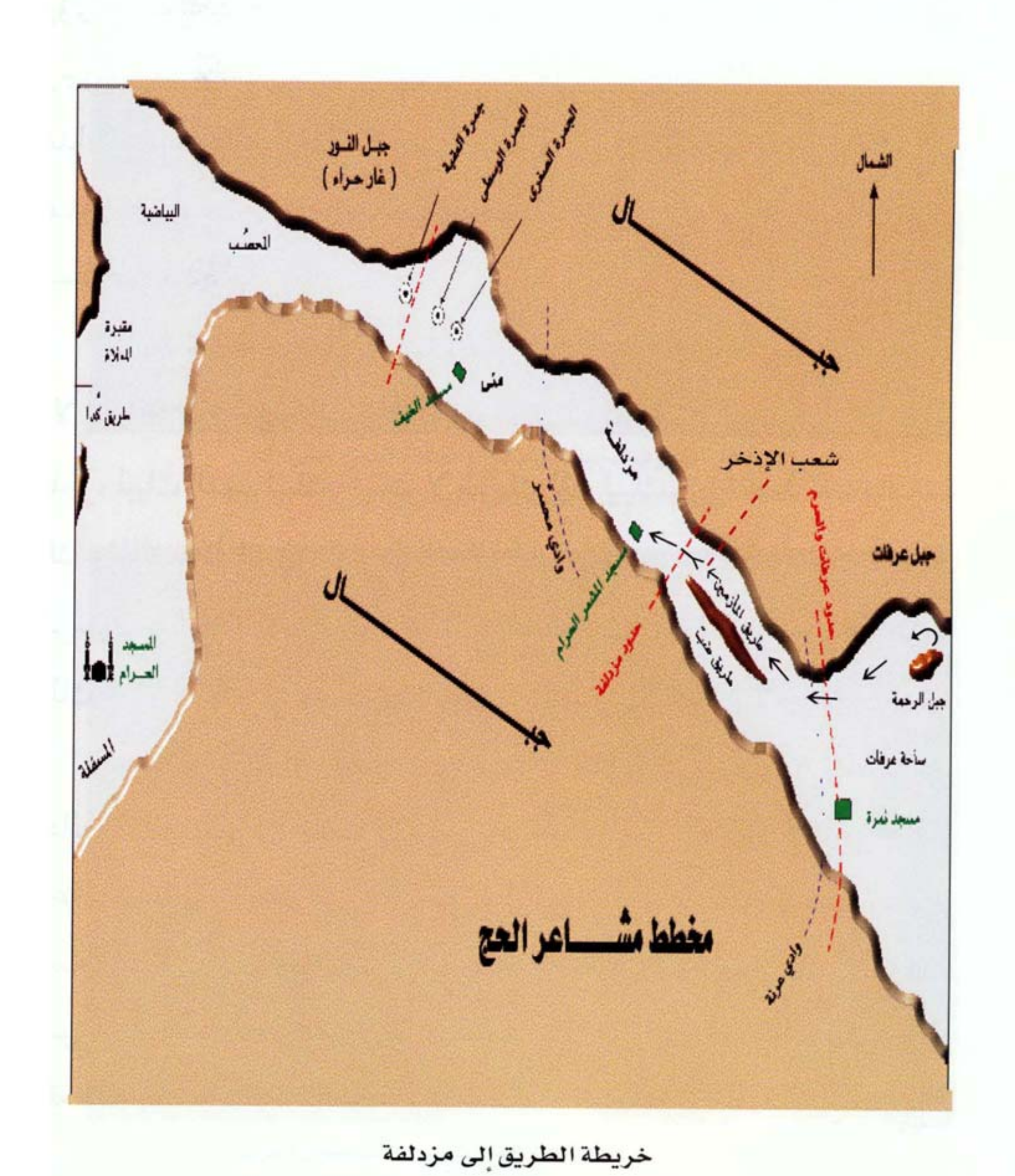


موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين اللوحتين تقريبًا

العباس رضي الله عنهم بقدح لبن، وهو واقف على بعيره، فشرب منه والناس ينظرون إليه[١٢٤]، وكان في دعائه رافعًا يديه إلى صدره، حتى رؤي بياض إبطيه، باسطًا كفيه كاستطعام المسكين[١٢٥]، منكسرًا لربه عز وجل، خاضعًا خاشعًا متذلّلًا له، مستغرقًا في مناجاته، كأنما يسارع لحظات هذا اليوم أن تفلت لحظة لا يَلْهَجُ فيها بذكر أو يُلِظُّ فيها بدعوة، حتى إنه عندما اضطربت به راحلته، فسقط خطامها تناوله بيد، وأبقى يده الأخرى مبسوطة يدعو بها[١٢٦].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم لهجًا بالثناء على الله تهليلًا وتحميدًا وتلبية: «**لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمدَ لك والنعمةَ لك والملك، لا شريكَ لك، لبيكَ إلهَ الحَقِّ لبيك**». وكأنما جاشت أشواق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، واستشرف قرب الأجل، فسُمع عشية ذلك اليوم وهو يزيد في تلبيته: «**لبيكَ، لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْآخِرَهْ**»[١٢٧].

وتقضَّت ساعات النهار، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم على حاله تلك، خشوع وخضوع، ولهج بالدعاء والذكر، حتى إذا تناهى النهار دعا بأسامة بن زيد رضي الله عنهما، ليكون ردفه، فتنادى الناس يدعون أسامة، واشرَأبَّت أعناق الأعراب ينتظرون هذا الذي حظي بشرف ردف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وظنوه رجلًا من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فما فجأهم إلا وشاب أسود يتوثَّب ناقة النبي صلى الله



خريطة الطريق إلى مزدلفة

عليه وآله وسلم، ثم يلتزمه من خلفه، ليكون له من بين أهل الموقف كلهم شرف الارتداف مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال حدثاء العهد بالإسلام متعجبين: أهذا الذي حَبَسَنا ابتغاؤه[128]! وكأنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الانتخاب والاختيار يعلن تحطيم الفوارق بين البشر، ويدفن تحت مواطئ راحلته النعرات الجاهلية، والفوارق الطبقية، والنزعات العنصرية؛ ليعلن بطريقة عملية أنه: «لا فضل لعربي على عَجَمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى».

ثم نظر صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشمس، وقد تدلَّت للغروب مثل الترس، فقال: «**أيها الناس، إنه لم يبق من دنياكم فيما مضى منها، إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه**»[129].

فلما آذنت الشمس بالغروب، أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بلال رضي الله عنه، فقال: «**يا بِلالُ، أَنْصِتْ لِيَ النَّاسَ**». فأنصت الناسُ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ليفيض على قلوبهم البشرى بالفيض الغامر من رحمة الله وعفوه، قائلًا: «**مَعاشِرَ الناسِ، أتاني جبريلُ آنفًا، فأقرَأني مِن رَبي السلامَ، وقال: إنَّ اللهَ قد غفَر لأهلِ عرفاتٍ وأهلِ المَشعَرِ، وضمِن عنهم التَّبِعاتِ**». فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، هذا لنا خاصة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**هَذا لَكُمْ، ولِمَنْ أَتَى بعدَكم إلى يَومِ القِيامةِ**». فقال عمر رضي الله عنه: كثر خير الله وطاب.



طريق المأزمين



طريق المأزمين

إلى المشعر الحرام:

فلما وجبت الشمس وغاب قرصها، أشار صلى الله عليه وآله وسلم للناس قائلًا: «**ادْفَعُوا باسْمِ اللهِ**»[١٣٠]. فدفع الناس معه، وفي دفعه في هذا الوقت مخالفةٌ لهدي المشركين الذين كانوا يتحرَّون الدفع من عرفة قبل غروب الشمس، فخالفهم ودفع بعد غروبها[١٣١].

دفع صلى الله عليه وآله وسلم في حَطْمَة الناس وغِمارِهم، ليس له طريق خاص، ولا موكب خاص، وإنما هو صلى الله عليه وآله وسلم مع الناس، وهو إمام الناس، لا يُدفع أحد أمامه، ولا يُصد أحد من ورائه، وقد رفع يمينه المباركة، باسطًا بطن كفه إلى السماء، يشير إليهم قائلًا: «**أَيُّها النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بالسَّكِينةِ والوَقارِ، فإنَّ البِرَّ ليس بإيجَافِ الخَيْلِ والإبلِ**». وإذا سمع حَطْمَةَ الناس خلفه وتدافعهم وضربهم الإبل يمينًا وشمالًا التفت إليهم، وأشار بسَوْطه قائلًا: «**رُويدًا أيُّها النَّاسُ، عليكم السَّكِينةَ؛ فإن البرَّ ليس بالإيضاع**». أي: السرعة. وكان يقول ذلك وهو أول مَن فعله؛ فقد شَنَقَ راحلته وكَبَحَ زمامها، حتى إن رأسها ليصيب مَوْرِكَ رَحْلِهِ[١٣٢] من شدة كَبْحِهِ لزمامها، فإذا أتى مرتفعًا أرخى لها حتى تصعد[١٣٣].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يسير سيرًا رفيقًا هينًا، عليه السكينة والجلال والوقار؛ حتى قال أسامة رضي الله عنه: ما رأيت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رافعة يديها عادية حتى وصلنا المزدلفة، وأفاض صلى الله عليه وآله وسلم من طريق المأزمين[١٣٤]، وهو طريق المشاة اليوم، حتى إذا بلغ شِعب الإذخر، وهو الشِّعب الأيسر الذي دون المزدلفة، مال



شعب الإذخر



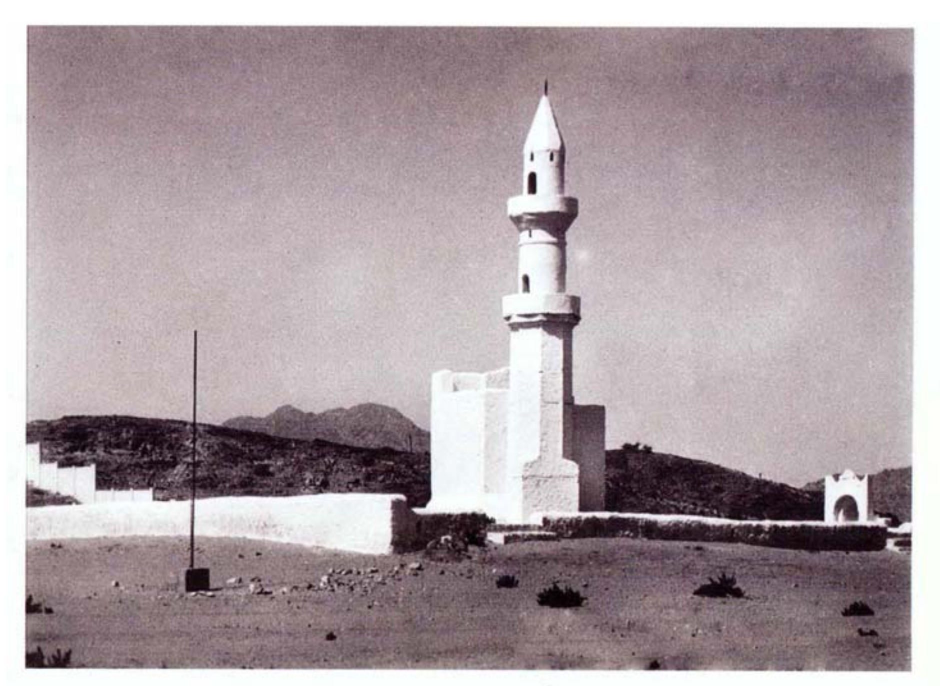
شعب الإذخر



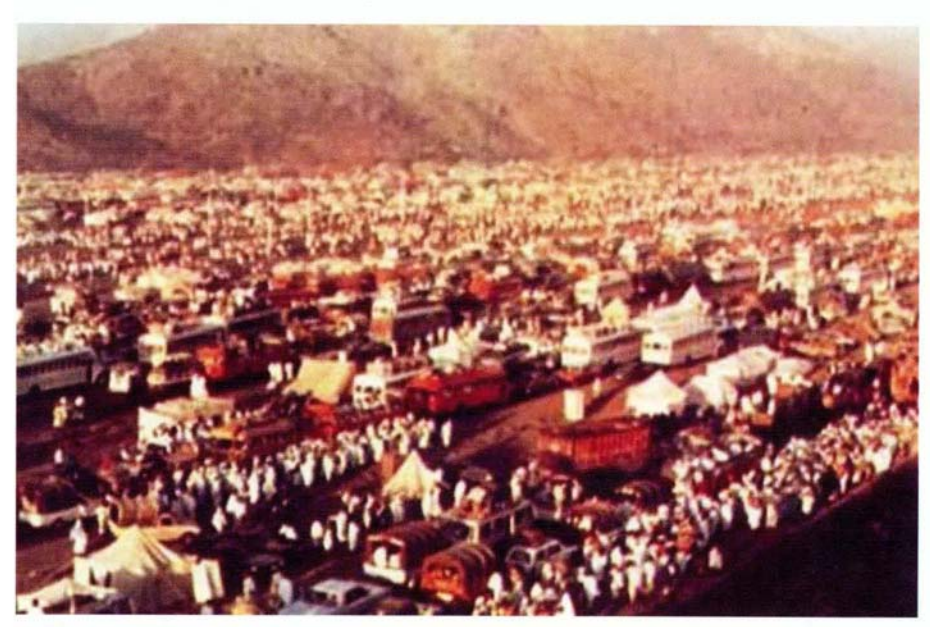
إليه فأناخ راحلته، ثم ذهب إلى منخفض منه فبال، فلما رجع صب عليه أسامة الوضوء، فتوضأ صلى الله عليه وآله وسلم وضوءًا خفيفًا غير سابغ، فقال له أسامة رضي الله عنه: الصلاة يا رسول الله؟ قال: «**الصلاة أمامك**». ثم ركب إلى مزدلفة[١٣٥].

ألا فرضي الله عن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأرضاهم، والذين رمقوا فعله، وحفظوا قوله، ثم وعوه وأدَّوه إلى مَن بعدهم، حتى كأنما عشنا معهم، نرى ما رأوا، ونسمع ما سمعوا، حتى هذا الفعل الفطري، وهو حاجة الإنسان إلى البول، حفظوه لنا، متى كان، وأين كان، فما ظنك بعد بأمره ونهيه وهديه؟! فهل يقول مُتَقَوِّلٌ بعد ذلك: إن شيئًا من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي عهده، ووصاته التي أوصى بها، يمكن أن تخفى على أمته أو تكتم عنها، وهؤلاء هم أصحابه والرواة عنه والحفظة لسنته والأمناء على ميراثه؟!

أما نبيك صلى الله عليه وآله وسلم فقد سار حتى وافى المزدلفة، فنزل في مكان المسجد اليوم، قرب جبل قُزَح[١٣٦]، وكان أول شيء فعله هو المبادرة للصلاة قبل أن تناخ الإبل، فتوضأ حين نزل وضوءًا سابغًا، ثم أَذَّن بلال رضي الله عنه وأقام، فصلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم المغرب ثلاث ركعات، فلما انصرف منها أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ولم يحلوا أمتعتهم، ثم أقيمت صلاة العشاء، فصلَّى العشاء ركعتين قصرًا، فجمع بين المغرب والعشاء جمع تأخير بأذان وإقامتين، ولم يتنفل بينهما[١٣٧]، فلما فرغ منهما قاموا إلى أمتعتهم فحلوها.



المشعر الحرام قديمًا، ويظهر جبل قزح بجانب المسجد



صورة قديمة لمزدلفة

واستأذنت أم المؤمنين سَوْدَة بنت زَمْعَة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المزدلفة أن تنفر إلى منى قبل نفرة الناس وازدحامهم، وكانت امرأة ثقيلة بطيئة، فأذن لها، فكانت عائشة رضي الله عنها تقول: فلأن أكون استأذنت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم كما استأذنت سَوْدَة، أحب إلي من مفروح به[١٣٨].

ثم هَجَعَ صلى الله عليه وآله وسلم ليلته تلك، بعد يوم طويل حَفِيلٍ بجلائل الأعمال، ونهار عامر بالعبادة والدعاء والذكر والتعليم والإرشاد والدلالة على الخير.

وترك صلى الله عليه وآله وسلم قيام الليل تلك الليلة، ونام حتى السَّحَر، وهو الذي ما ترك قيام الليل قط؛ فقد كان البدن الشريف بحاجة للراحة بعد جهد يوم عرفة، وبحاجة للنشاط لما يستقبله من أعمال يوم النحر.

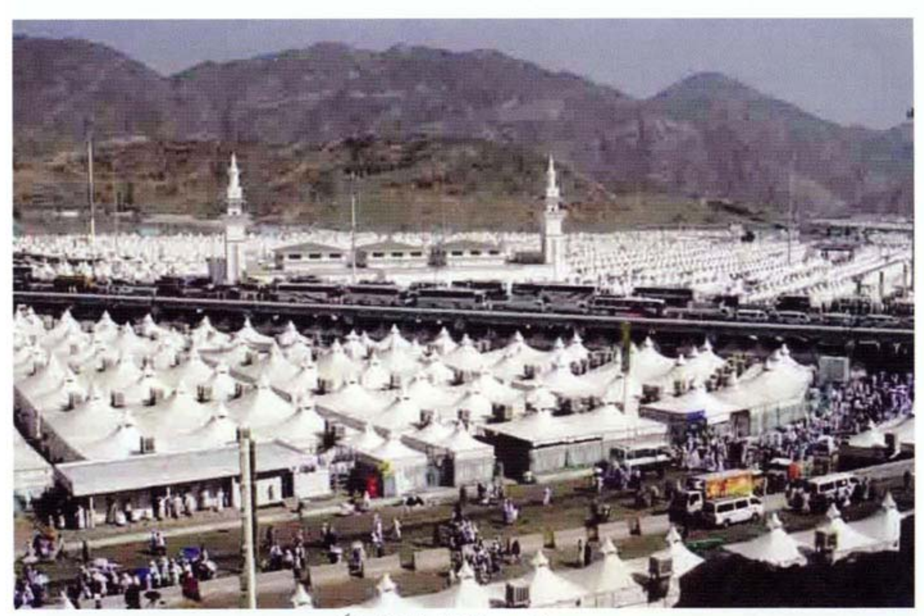
فلما كان السَّحَر استيقظ صلى الله عليه وآله وسلم، فقدَّم ضعفة أهله إلى مِنى؛ أم حبيبة وأم سلَمة وأُغَيْلِمَةَ بني عبد المطلب، فيهم ابن عباس رضي الله عنهما[١٣٩]، وقال لعمه العباس رضي الله عنه: «**اذهب بضعفائنا ونسائنا؛ فليصلُّوا الصبحَ بمنى، وليرموا جمرة العقبة قبل أن تصيبهم دَفْعَةُ الناس**».

فدفعوا بسَحَر، وصلوا الصبحَ بمنى[١٤٠].

ولما تنفَّس الصبحُ وأضاءت خيوط الفجر الأولى قام صلى الله عليه وآله وسلم مسارعًا إلى صلاة الفجر، فصلَّاها في غاية البكور في أول الوقت، حتى يقول قائل: قد طلع الفجر. ويقول قائل: لم يطلع الفجر؛ لشدة بكوره بها، وذلك ليتسع الوقت بعدها للذكر، وما يستقبل من المناسك، فلما قضى



صورة حديثة لمزدلفة ليلة مزدلفة



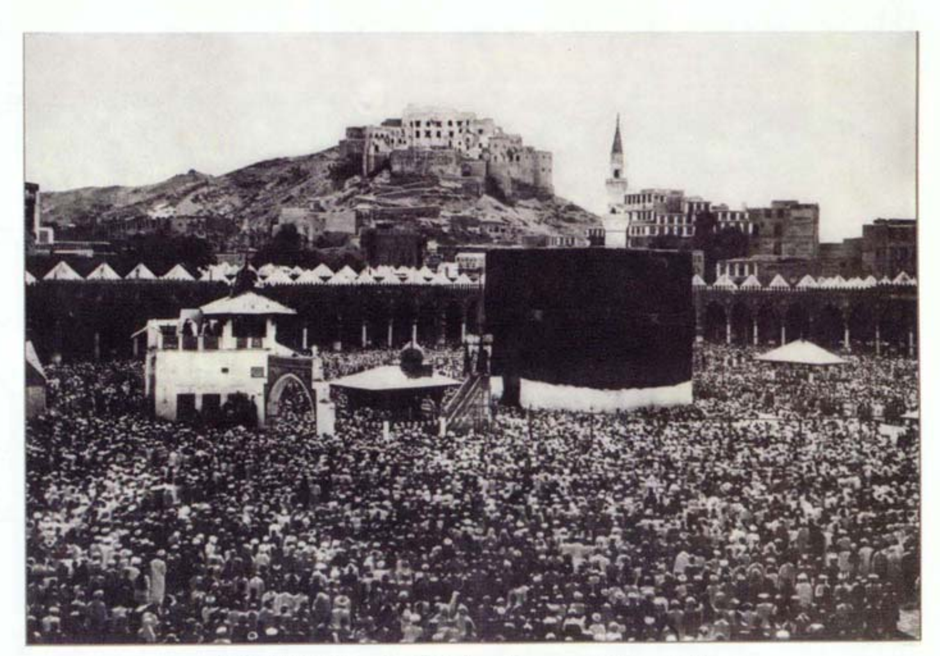
صورة حديثة لمزدلفة نهارًا



صلاته ركب راحلته، فرقى جبل قُزَح، وهو أَكَمَةٌ مشرفة على المسجد، ولعله صنع ذلك ليكون مشرفًا للناس يرونه كلهم، فاستقبل القبلة، ورفع يديه الشريفتين، فحمد الله وكبَّره وهلَّله ووحَّده ولبَّاه، عملًا بقول مولاه: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٩٨]، وكان يقول: «**لبَّيك اللهُمَّ لبَّيك**». ويدعو ربه ويذكره على حال من الضراعة والخضوع، وهو مع ذلك يعلِّم الناسَ ويبيِّن لهم، فقال: «**وقفت ها هنا، ومزدلفة كلها موقِف، وارفعوا عن بطن مُحَسِّر**»[١٤١].

وجاءه عروة بن مُضَرِّس الطائي رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، جئتك من جبلي طيِّءٍ[١٤٢]، أتعبت نفسي، وأنصبت راحلتي، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه، فهل لي من حج؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَن شَهِد معَنا هذه الصلاةَ**- يعني صلاة الفجر- **بجَمْعٍ، ووقَف معَنا حتى نُفيضَ منه، وقَد أفاض قبلَ ذلك مِن عَرَفاتٍ ليلًا أو نهارًا، فقَدْ تَمَّ حَجُّه، وقَضَى تَفَثَهُ**»[١٤٣].

■■■■



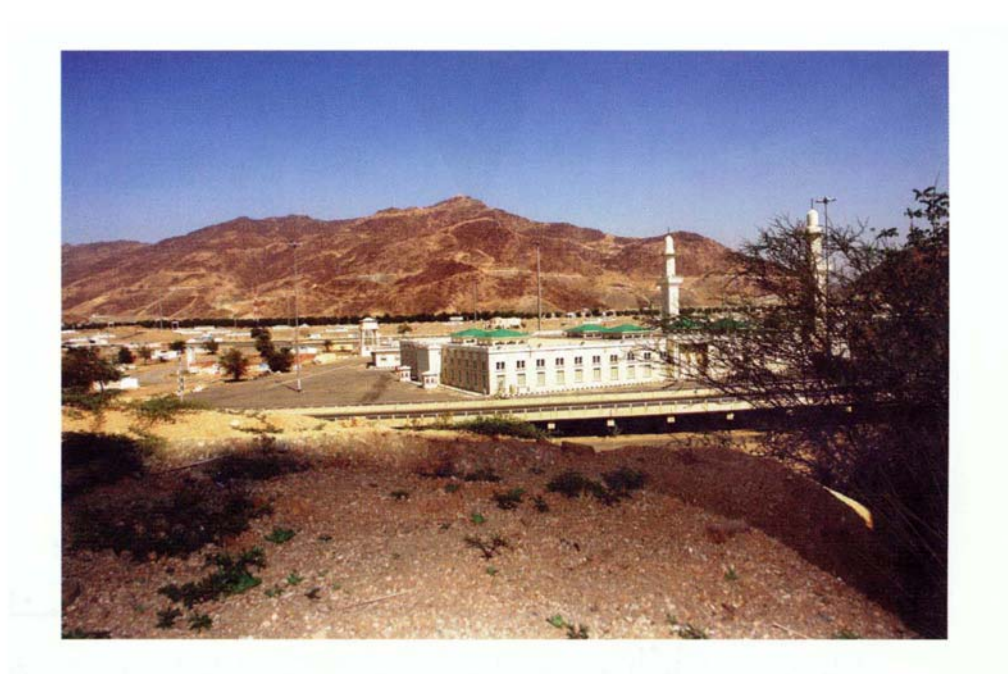
صورة قديمة للمسجد الحرام التقطت في ١٢٩٧/١٢/٢هـ


يوم الحج الأكبر

صورة قديمة للمزدلفة صباح يوم النحر

بقي صلى الله عليه وآله وسلم في المشعر الحرام حتى أَسْفَرَ جدًّا، وقاربت الشمس أن تطلع، فأمر ابن عمه الفضل بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما أن يلقط له حصى الجمار، وقال: «**هات اِلْقُطْ لي**». فالتقط له سبع حصيات صغار بحجم حبة الحمص أو أكبر قليلًا، فوضعهن في يده، وجعل يَنْفُضُهُنَّ في كفِّه، ثم رفع يده، وقال للناس، وهو يشير بيده، كمَن يريد أن يرمي: «**بأَمثالِ هؤلاء فارموا، وإياكم والغُلُوَّ في الدِّينِ؛ فإنما أهْلَكَ مَن كان قبلَكم الغُلُوُّ في الدِّينِ**»[١٤٤].

ثم أردف الفضل رضي الله عنه على راحلته، ودفع ركابه الميمون من مزدلفة قبل طلوع الشمس؛ مخالفًا هَدْي المشركين؛ فإنهم كانوا لا يدفعون من مزدلفة إلا عند طلوع الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال، ويقولون: أَشْرِقْ ثَبِيرُ كَيْما نُغِيرُ[١٤٥]، أي: أشرقي أيتها الشمس على جبل ثَبِير، حتى ندفع مِن مزدلفة، وثَبِير جبل عظيم مقابل لجبل قُزَح[١٤٦]، فخالفهم صلى الله عليه وآله وسلم، ودفع قبل أن تطلع الشمس.





مسجد المشعر الحرام وفي أدنى الصورة جبل قزح، وفي أقصاها جبل ثبير

وانطلق فتية من سُبَّاق قريش عَدْوًا على أرجلهم إلى منى، فسبقوا الرِّكاب، منهم أسامة بن زيد رضي الله عنهما(١٤٧).

دفع صلى الله عليه وآله وسلم من مزدلفة، وهو على حال من السكينة والوقار، ونداؤه للناس حين دفعوا معه: «**عَلَيْكُمُ السَّكِينَةَ**»(١٤٨)، وهو كافٌّ ناقته، كحاله في شأنه كله صلى الله عليه وآله وسلم؛ رفيقًا يحب الرفق، وكان رديفه الفضل بن العباس رضي الله عنهما، شابًّا أبيض وسيمًا حسن الشعر، فمرت به نساء على ركائبهن يجرين، فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على وجه الفضل، فحوَّل الفضلُ وجهه إلى الشق الآخر، فحوَّل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل، فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا ابن أخي، إن هذا يوم مَن ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غُفِرَ له**»(١٤٩). حتى إذا وصل «وادي مُحَسِّرٍ» بين «مزدلفة» و«منى» حرك ناقته وأسرع قدر رمية بحَجَر(١٥٠).

وسلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى(١٥١)، وكان في طريقه لهجًا بالتلبية والتكبير، حتى إذا وصل إلى جمرة العقبة، استقبلها جاعلًا «منى» عن يمينه، و«مكة» عن يساره، ومعه بلال وأسامة رضي الله عنهما، أحدهما ممسك بخِطام ناقته، والآخر رافع ثوبًا يظلله به، وهو يرمي جمرة العقبة بسبع حصيات، يكبِّر مع كل حصاة، ولم يقطع التلبية حتى رمى الجمرة(١٥٢)، وكان في شأنه كله متواضعًا لله معظِّمًا لشعائره، قال قدامة بن عبد الله الكِلَابي رضي الله عنه: رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم



في مكان هذا الطريق كان وادي محسر

رمَى جمرة العقبة يوم النحر على ناقةٍ صَهْباءَ، بلا زَجْرٍ، ولا طَرْدٍ، ولا: إِلَيْكَ إِلَيْكَ(١٥٣).

وازدحم الناس حوله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا أَيُّها النَّاسُ، لا يَقتُلُ بعضُكم بعضًا، ولا يصيبُ بعضُكم بعضًا، وإذا رَمَيتم الجَمْرَةَ فارْمُوا بمثلِ حَصَى الخَذْفِ، ولْتَأْخُذوا مناسِكَكم؛ فإني لا أدري لَعَلِّي لا أَحُجُّ بعدَ حَجَّتي هذه**»(١٥٤).

وكان الناس حوله، يصله مَن شاء منهم، الرجل والمرأة، والكبير والصغير، لا يُدفع عنه أحد ولا يُبعد، فجاءت امرأة شابة حسناء تسأله، والفضل رِدْفَه، وكان الفضل شابًّا في العشرين من عمره وسيمًا وضيئًا، فجعلتْ تَنظُرُ إليه وطفِق يَنظُرُ إليها، وأعجبه حسنها، فالتفت النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا الفضل ينظر إليها، فأخلف بيده فأخذ بذقن الفضل، فدفع وجهه عن النظر إليها، فنظر من الشق الآخر، فصرف وجهه مرةً أخرى، حتى قال أبوه العباس رضي الله عنه: يا رسول الله، لويت عنق ابن عمك. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**رأيتُ شابًّا وشابَّةً، فَلَمْ آمَنِ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِما**». فقالت المرأة: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أَفَأَحُجُّ عنه؟ قال: «**نَعَمْ**»(١٥٥).

ولا تدري ممَّ تعْجَب في هذا المشهد، أمن تواضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقربه من الناس ودنوه منهم، حتى تجترئ عليه فتاة -في هذا المشهد الحافل- بهذا السؤال وهذه الحال، أم مِن تفهُّم النبي صلى الله عليه



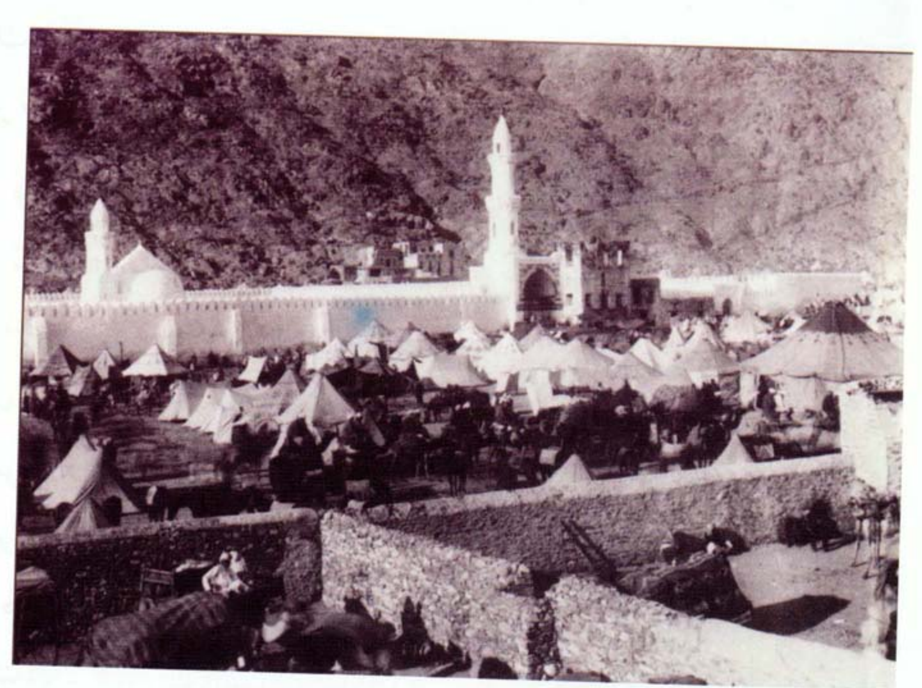


جمرة العقبة قديمًا، ويلاحظ لصوقها بالجبل، ولذا سميت جمرة العقبة

وآله وسلم لنوازع الشباب، وما جُبِلت عليه النفوس الفتية، فيسارع بالتأديب اللطيف الذي يجمع الرفق والمودة، ولا يستثيره تكرُّر المشهد إلى العنف أو الغلظة! أم من جرأة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ابن عمه وقريبه دون المرأة؛ لأن الفضل يحتمل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لا تحتمله فتاة غريبة، ولا تزال تتأمل هذا المشهد حتى تتداعى إليك روائع المعاني من أدب التربية، وحسن التعليم، ولطف التوجيه، من خير معلِّم للناس الخير، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وودَّع الناس:

ثم وقف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم للناس على ناقته العَضْبَاءِ بين الجمرات عند ارتفاع الضحى، وأطاف به أصحابه، ما بين قاعد وقائم، فقال لجرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه -وكان رجلًا طوالًا جهير الصوت-: «**استنصت لي الناس**». فأنصتوا له، حتى كأنَّ على رؤوسهم الطير، فخطبهم خطبة عظيمة، فتح الله لها أسماعهم، حتى سمعوه في منازلهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أيها الناس، إنَّ الزمانَ قدِ اسْتَدَارَ كهَيْئتِه يومَ خلَق اللهُ السماواتِ والأرضَ، السنةُ اثنا عشَر شَهرًا، منها أربعةٌ حُرُمٌ؛ ثلاثةٌ مُتوالِياتٌ: ذو القَعْدةِ، وذو الحِجَّةِ، والمُحرَّمُ، ورَجَبُ مُضَرُ الذي بين جُمَادَى وشَعبانَ**». ثم قرأ: «﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة:٣٦]، **وإنَّ النَّسِيءَ زيادةٌ في الكفر، يُضَلُّ به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا؛ ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلُّوا**



منى قديمًا

ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله».

ثم قال: «أيُّ شهرٍ هذا؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. فسكت، حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أَلَيْسَ ذا الحجةِ؟». قالوا: بلى. ثم قال: «أيُّ بلدٍ هذا؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. فسكت، حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أَلَيْسَ البَلْدَةَ؟». قالوا: بلى. ثم قال: «فأيُّ يومٍ هذا؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. فسكت، حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «أليسَ يومَ النَّحْرِ؟». قالوا: بلى. قال: «فإنَّ دماءَكم، وأموالَكم، وأعراضَكم، عليكم حرامٌ، كحُرمةِ يومِكم هذا، في بَلدِكم هذا، في شهرِكم هذا، ألا إن المسلم أخو المسلم، فليس يحل لمسلم من أخيه شيء، إلا ما أحل من نفسه، وحتى دَفْعَةٌ دفعها مسلم مسلمًا يريد بها سوءًا حرام، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

وسأخبركم مَن المسلم؛ مَن سَلِمَ المسلمون مِن لسانه ويده، والمؤمن مَن أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر مَن هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد مَن جاهد نفسه في طاعة الله تعالى، ألا لا يجني جانٍ إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا مولود على والده، أَلَا لا ترجِعوا بَعدي كفارًا، يَضرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ، وإنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه أبدًا، ولكنه إن يُطَعْ فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تَحْقِرُونَ من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناسُ، اسمعوا وأطيعوا، وإن أُمِّرَ عليكم عبدٌ حبشيٌّ أسود مُجَدَّع

مسجد الخيف قديمًا

يقودكم بكتاب الله تعالى، فاسمعوا له وأطيعوا، ثلاث لا يَغِلُّ عليهن(١٥٦) **قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط مِن ورائهم».**

ثم ذكر المسيح الدجال، فأَطْنَبَ في ذكره، وقال: «**ما بعث اللهُ من نبي إلا أنذر أمته، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم، فما خفي عليكم من شأنه، فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية.**

أيها الناس، إني والله لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا، فرحم الله مَن سمع مقالتي فوعاها وبلَّغها، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه.

أيها الناس، ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ، فلعل بعض مَن يبلُغُه أن يكون أوعى من بعض مَن سمعه».

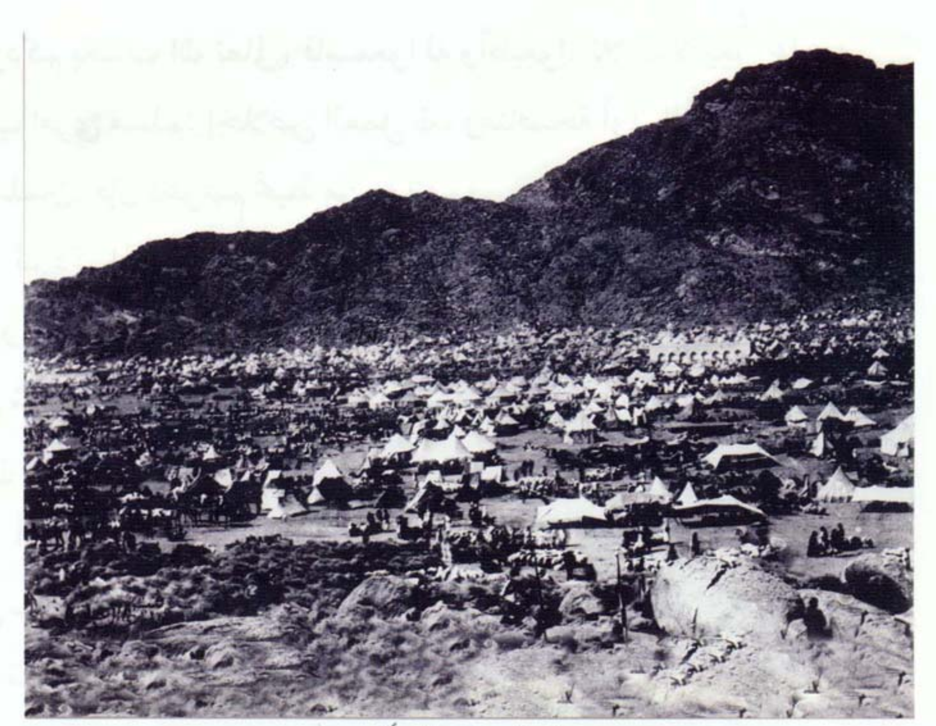
ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: «**اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت؟**».

قالوا: نعم بلَّغ رسولُ الله. فرفع يديه إلى السماء، ثم قال: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد**»(١٥٧).

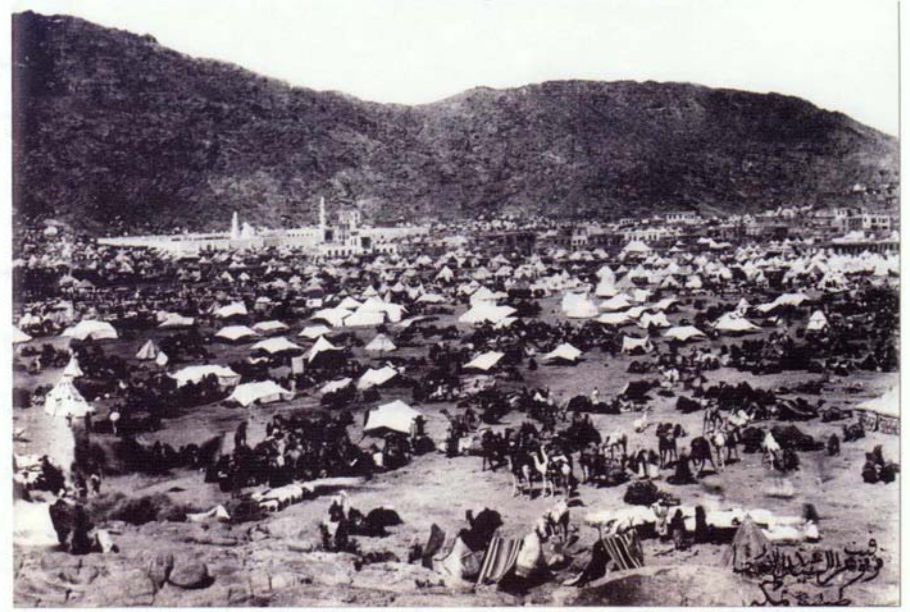
وجعل يتطاول ليُسْمِعَ الناسَ، ويقول: «**أَلاَ تَسْمَعُونَ**». يُطوِّل في صوته(١٥٨). وينادِي: «**يا أُمَّتَاهُ، هل بلغتكم؟**». حتى قال صبيٌّ في الموقِف لأمه: يا أُمَّهْ، ما له يدعو أمه؟ فقالت له: يا بني، إنه لا يدعو أمه، إنما يعني أُمَّتَهُ(١٥٩).

وودَّع صلى الله عليه وآله وسلم الناس، فسُمِّيت: **حجة الوداع**(١٦٠).

واستشعر الناسُ أنها موعظة مودِّع، فقال رجلٌ من طوائف الناس: يا



شرقي منى قديمًا



غربي منى قديمًا

رسول الله، ماذا تَعهَدُ إلينا؟ قال: «**اعبُدوا ربَّكم، وصَلُّوا خَمْسَكم، وصُوموا شَهرَكم، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم، وأَطِيعوا ذا أَمرِكم؛ تَدخُلُوا جَنَّةَ ربِّكم**»(١٦١).

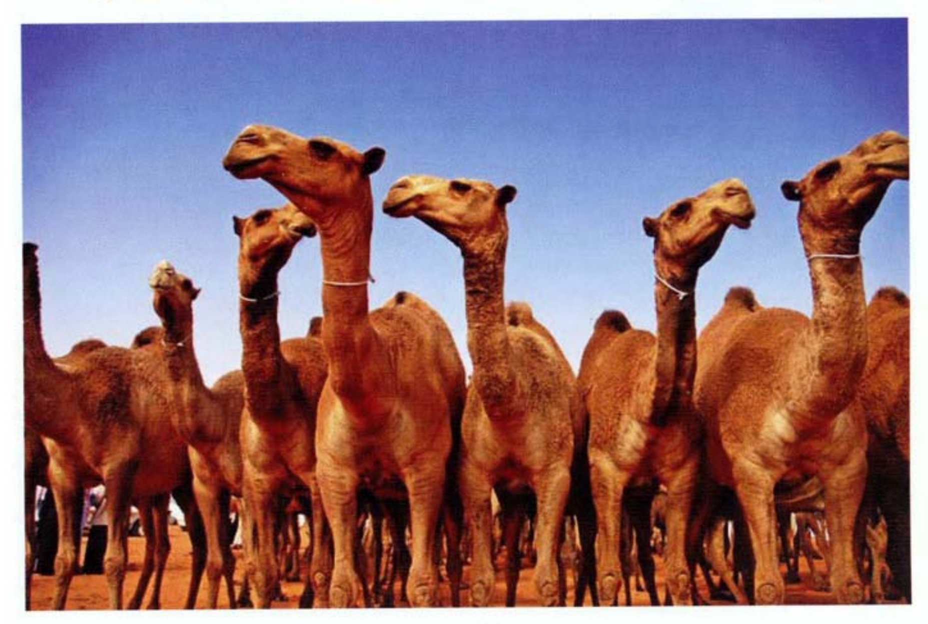
وثار الناسُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يسألونه عن أحكام المناسك، فجاءه رجلٌ فقال: حلقتُ قبل أن أرمي؟ فقال: «**ارْمِ ولَا حَرَجَ**». وجاءه رجلٌ فقال: حلقتُ قبل أن أذبح؟ فقال: «**اذْبَحْ ولَا حَرَجَ**». وجاءه رجلٌ فقال: لم أشعر، فنحرتُ قبل أن أرمي؟ قال: «**ارْمِ ولَا حَرَجَ**». وجاءه رجلٌ فقال: طفتُ قبل أن أرمي؟ قال: «**لا حرج**». وقال قائلٌ: سعيتُ قبل أن أطوف. قال: «**لا حرج**». فما سُئل عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر، إلا قال: «**افعَلْ ولَا حَرَجَ**». وما سألوه عن شيء، إلا قال: «**لَا حرَجَ، لَا حرَجَ**»(١٦٢).

وجاءت الأعرابُ من هاهنا وهاهنا، فقالوا: يا رسولَ الله، أفتنا في كذا، أفتنا في كذا. فقال: «**أيها الناسُ، إن اللهَ قد وضع عنكمُ الحَرَجَ، إلَّا رَجُلًا اقْتَرَض من عرض رجل مسلم، وهو ظالم، فذلك الذي حَرِجَ وهَلَكَ**». قالوا: يا رسول الله، نتداوى؟ قال: «**نَعَمْ، تدَاوَوا؛ فإنَّ اللهَ لم يَضَعْ داءً إلَّا وضَع له دواءً، غيرَ داءٍ واحدٍ**». قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**الهَرَمُ**». قالوا: ما خير ما أُعطي الناسُ يا رسول الله؟ قال: «**خُلُقٌ حَسَنٌ**»(١٦٣).

ثم نزل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم منزله بمنى، وهو مكان مسجد الخَيْف الآن، وأنزل المهاجرين بميمنه، والأنصار بيسرته، والناس حولهم من بعدهم(١٦٤).

وسأله أصحابُه أن يبنوا له بمنى بناءً يُظِلُّه، فأَبَى عليهم أن يكون له بناء

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾



البدن



الهدي في منى سنة ١٣٧٢هـ

يميِّزه في هذا المشعر عن سائر الناس، وقال: «**لَا، مِنًى مَناخُ مَن سَبَقَ**»(١٦٥).

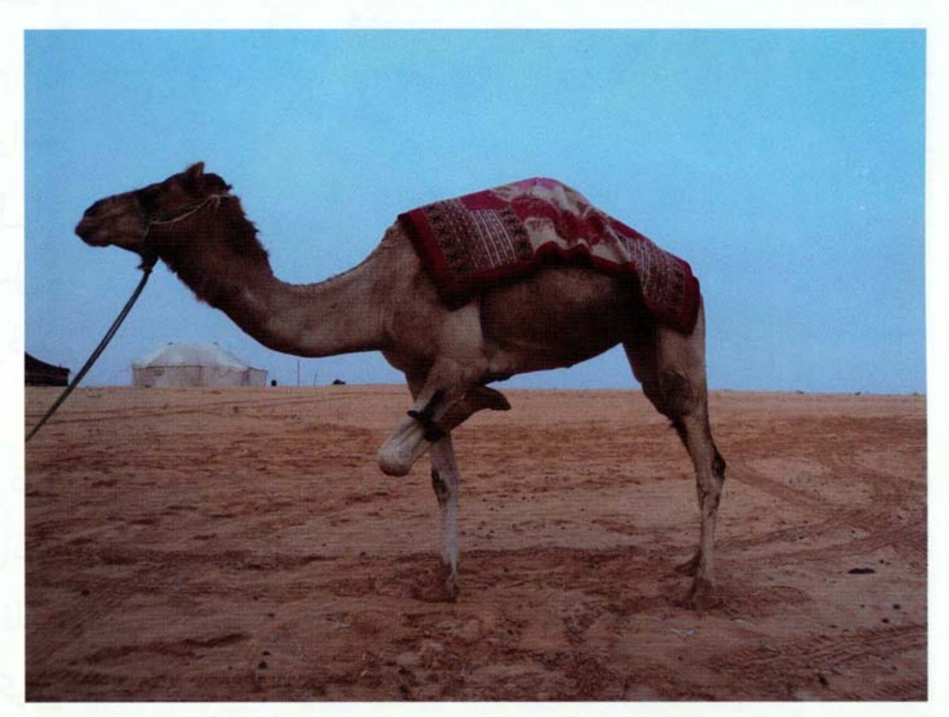
في المنحر:

ثم انصرف إلى المنحر، وهو ما بين المسجد والجمرة الصغرى، لينحر هديه، وقال: «**ادعُوا لي أَبا حَسَنٍ**». فدعي له علي رضي الله عنه، فقال: «**خُذْ بأَسْفَلِ الحَرْبَةِ**». وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بأعلاها. ثم قُرِّبت إليه البُدْنُ أَرْسالًا، معقولةً يدها اليسرى، قيامًا على ما بقي من قوائمها، فجعل يطعنها بالحربة في لَبَّاتِها أسفل العنق(١٦٦)، فإذا العجب كل العجب يقع من هذه الإبل العجماوات، وهي تُقرَّب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لينحرها قربانًا لربه عز وجل؛ لقد جعلت الإبل يَزْدَلِفْنَ(١٦٧) لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أيها يبدأ به أولًا(١٦٨)!!

إنها البهائم التي سيقال لها يوم القيامة: كوني ترابًا. فتكون ترابًا. ومع هذا تَزْدَلِفُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ أيها يبدأ به أولًا لينحرها! فماذا يقول المؤمن برسول الله المتَّبع لدينه؟ أما كانت أعيننا عميًا وآذاننا صمًّا وقلوبنا غلفًا، حتى فتحها الله وأحياها بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف ينبغي لحبها له أن يكون؟!

أما والله، لو ذابت القلوبُ في أَحْنَائِها، وتفتَّتت الأكبادُ في أجوافها؛ حبًّا له وشوقًا إليه؛ لَمَا كانت وربي ملومةً، فصلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

نحر صلى الله عليه وآله وسلم هديه، فنحر بيده الشريفة ثلاثًا وستين بَدَنَةً، بعدد سني عمره المبارك، ثم أمر عليًّا بنحر ما بقي منها، وأشركه معه



البدنة قائمة معقولة يدها اليسرى، وعلى ظهرها جلالها

في هديه، وقال للناس: «**مَن شاء اقْتَطَعَ**»(١٦٩). وأمر عليًّا رضي الله عنه أن يقوم عليها، وقال له: «**اقْسِمْ لُحومَها وجِلالَها**(١٧٠) **وجلودَها بينَ النَّاسِ، ولَا تُعطِيَنَّ جَزَّارًا مِنها شيئًا؛ نحن نعطيه من عندنا، وخُذْ مِن كُلِّ بَعيرٍ حِذْيَةً مِن لَحمٍ**(١٧١)**، ثم اجْعَلْها في قِدْرٍ واحدةٍ؛ حتى نَأكُلَ مِن لَحمِها ونَحْسُوَ مِن مَرَقِها**»(١٧٢). وقال: «**نَحَرْتُ هاهنا، ومِنًى كُلُّها مَنْحَرٌ، وكل فجاج مكة طريق ومنحر، فانحروا في رحالكم**»(١٧٣).

وأهدى عمَّن اعتمر من نسائه بقرة بينهن، قالت عائشة: دُخِل علينا يوم النحر بلحم بقر، فقلت: ما هذا؟! قالوا: نحر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أزواجه(١٧٤)، ونحر الصحابة رضي الله عنهم، يشترك في الجزور منهم سبعة، وفي البقرة سبعة(١٧٥).

وقسَّم صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المنحر غنمًا على أصحابه هَديًا لمَن لم يكن معه هَدْي، فأصاب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه منها تيسًا فذبحه عن نفسه(١٧٦).

وسأله أصحابه عن ادخار لحوم الهدي، وكان قد نهاهم في السنة التي قبلها عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث؛ لكثرة الوفود التي دَفَّتْ إلى المدينة، فقالوا: يا رسول الله، نفعل كما فعلنا العام الماضي؟ قال: «**إني كنتُ نهيتُكم أن تأكلوا الأضاحيَّ فوق ثلاث، من أجل الدَّافَّة**(١٧٧) **التي دَفَّتْ عليكم، وإن ذلك العام كان بالناس جهد، فأردتُ أن تعينوا فيها، وإني أحلُّه لكم، فكلوا ما شئتم، وأطعموا، وتزودوا**». فأكلوا، وتزودوا حتى بلغوا به المدينة(١٧٨).

وقال لمولاه ثوبان رضي الله عنه: «**يا ثوبان، أصلح هذا اللحم**». أي:

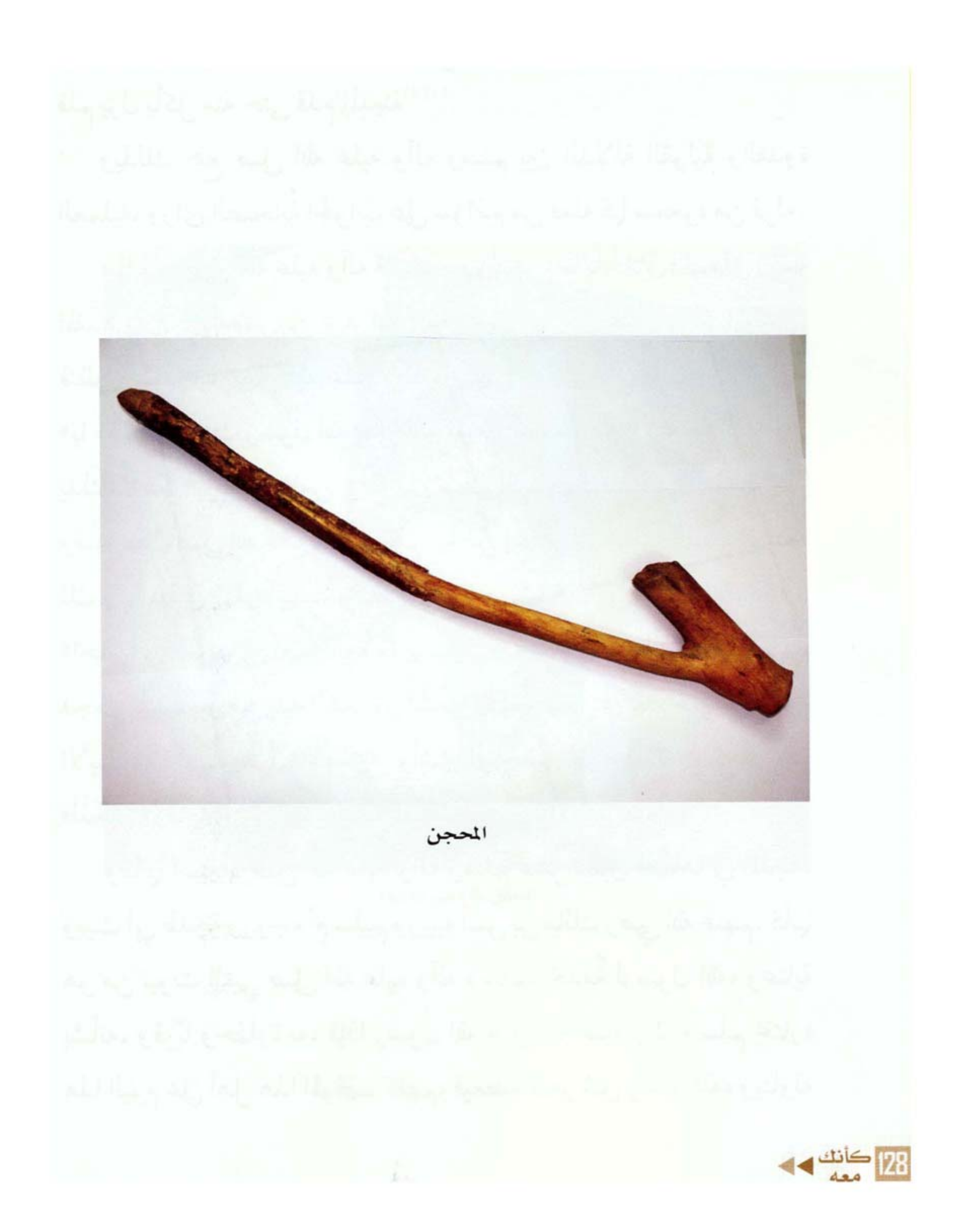
الحلق في منى قديمًا

جفِّفه وملِّحه حتى يكون قَدِيدًا، لا يسرع إليه الفساد. قال ثوبان: فأصلحتُه، فلم يزل يأكل منه حتى قدم المدينة(١٧٩).

وبذلك جمع صلى الله عليه وآله وسلم بين الدلالة القولية والقدوة العملية، ورأى الصحابةُ الجوابَ على سؤالهم مِن فعله كما سمعوه من قوله.

ولما فرغ صلى الله عليه وآله وسلم من المنحر دعا بالحلَّاق؛ ليحلق رأسه المقدَّس، فجاء معمر بن عبد الله العدوي رضي الله عنه، ومعه الموسَى، فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في وجهه، ثم قال له ملاطفًا: «**يا مَعْمَرُ، أَمْكَنَك رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم من شَحْمَةِ أُذنِه، وفي يدِكَ المُوسَى**». فقال معمر: والله يا رسول الله، إن ذلك لمن نعمة الله عليَّ ومَنِّه. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أَجَلْ إذًا أَقِرُّ لك**». أي: أثبت واستقر لك. ثم سوَّى شعره بيده، وقبض على شعر شقه الأيمن، وقال للحلاق: «**احلق**»، فأطاف به أصحابه، ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل، فجعل يقسم بين مَن يليه الشعرة والشعرتين، ثم قبض في بيده على شعر شقه الأيسر، وقال للحلَّاق: «**احلق**». وأشار إلى جانبه الأيسر، ثم قال: «**أين أبو طَلْحَةَ؟**». فجاء أبو طلحة، فدفع إليه شعر رأسه الأيسر كله(١٨٠).

وكأنما استعاد صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين قضاها في المدينة، وبيت أبي طلحة وزوجه أم سليم وربيبه أنس بن مالك رضي الله عنهم، كأنما هو من بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، خدمةً لرسول الله، وعناية بشأنه، وقربًا وحفاوة به، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يختاره هذا اليوم على أهل هذا الموقف كلهم، فيعطيه شعر شق رأسه كله، ويناوله



المحجن

ما لم يناول أحدًا مثله، وينطلق أبو طلحة يحوز الشعر المقدَّس، وكأنما طِلاعُ الأرض ذهبًا وفضة بين يديه، رضي الله عنه.

ورحم الله ابنَ سيرين الذي كان يحدِّث بهذا الحديث، ثم يقول: لأن يكون عندي منه شعرة، أحب إليَّ من الدنيا وما فيها.

ورحم الله عَبِيدة السَّلْماني الذي سمع هذا الحديث، فقال: لأن تكون عندي منه شعرة، أحب إليَّ من كل أصفر وأبيض أصبح على وجه الأرض وفي بطنها[١٨١].

ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم للمحلِّقين، فقال: «**اللهمَّ ارْحَم المُحَلِّقِين**». قالوا: والمقصرين يا رسول الله. قال: «**اللهمَّ ارْحَمِ المُحَلِّقِين**». قالوا: والمقصرين يا رسول الله. قال: «**والمُقَصِّرِين**». قال مالك بن ربيعة رضي الله عنه: سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك، وأنا يومئذ محلوق الرأس، فما يسرني بحلق رأسي حُمْرُ النَّعَمِ[١٨٢].

وقلَّم صلى الله عليه وآله وسلم أظفاره وقسَّمها بين الناس[١٨٣].

وبعد أن رمى صلى الله عليه وآله وسلم يوم العيد ونحر وحلق نزع إحرامه، ويغلب على الظن أنه اغتسل ليزيل عنه التَّفَثَ[١٨٤] وآثار الجهد والنصب، ثم لبس ثيابه، وطيَّبته عائشة رضي الله عنها بأطيب ما تجد من الطيب، وضمخت بيديها رأسه الكريم مِسكًا[١٨٥].

إلى الحرم:

ثم ركب صلى الله عليه وآله وسلم إلى البيت، مردفًا أسامة بن زيد رضي الله عنهما، فلما وصل الكعبة طاف راكبًا؛ ليراه الناس، وليُشْرِفَ لهم وليسألوه؛ فإن

بئر زمزم قديمًا

الناس غَشَوهُ وكثروا حوله، وكان يستلم الركن بمِحْجَنٍ[١٨٦] في يده، ويكبِّر، ويقبِّل طرف المِحْجَنَ[١٨٧]، فلما فرغ من طوافه أناخ راحلتَه، فصلَّى ركعتين[١٨٨]، وسعى الذين تمتعوا من أصحابه بين الصفا والمروة لحجهم، كما سعوا قبل ذلك لعمرتهم، وأما رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ومَن لم يحل ممن ساق الهدي من أصحابه، فلم يسعوا بين الصفا والمروة بعد طوافهم هذا[١٨٩].

ثم ذهب صلى الله عليه وآله وسلم إلى سقاية عمه العباس رضي الله عنه؛ حيث كان يسقي الناس النبيذَ[١٩٠]، فاستسقى من أوعيتهم التي يجعلون فيها سقاية الناس، فقال عمه العباس: يا فضل، اذهب إلى أمك، فأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشراب من عندها. فأبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، وقال: «**لا حاجةَ لي فيه، اسقُوني مما يَشرَبُ منه النَّاسُ**». قال: يا رسول الله، إنهم يجعلون أيديهم فيه، وإن هذا النبيذ قد مُغِثَ ومُرِثَ[١٩١]، أفلا نسقيك لبنًا أو عسلًا؟ أي: إن أيدي الناس قد وقعت فيه وخالطته، وأراد أن يسقي رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم بشراب يخصه به، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبى أن يكون له تميز في أمر السقاية، وأن يختص نفسه بما لا يشركه فيه غيره، حتى وإن كان شرابًا يؤثره به عمه؛ لذا أعاد عليه أخرى: «**اسقونا مما تسقون منه الناس**». فأُتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أصحابه المهاجرون والأنصار بأقداح كبار فيها النبيذ، فلما شرب صلى الله عليه وآله وسلم عَجِل قبل أن يروى، فرفع رأسه، فقال: «**أَحسَنتُمْ وأَجْمَلْتُمْ، كَذَا فَاصْنَعُوا**». ثم سقى فضله أسامة بن زيد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فرِضَا رسول الله صلى الله عليه وآله



نبع بئر زمزم



نبع بئر زمزم

وسلم ذلك أعجب إليَّ من أن تسيل شعاب مكة علينا لبنًا وعسلًا[١٩٢].

ثم أتى صلى الله عليه وآله وسلم زمزمَ، وبنو عبد المطلب يسقون ويعملون فيها، فقال: «**اعْمَلُوا؛ فإنَّكم علَى عملٍ صالح**». فنزعوا له دلوًا، فشرب منها وهو قائم، ثم مَجَّ فيها من فمه الطيب مجةً، فأخذوها وأفرغوها في زمزم؛ حتى تعم بركة بقية شرابه ومجته مَن بعده. وقال لهم: «**لَوْلَا أنْ تُغلَبُوا لنَزَلْتُ حتَّى أَضَعَ الحَبْلَ على هذه**». وأشار إلى عاتقه[١٩٣]. وذلك أنه لو نزع لصارت سُنَّةً يتبعه فيها الناس، ولغُلِبَ بنو العباس على سقايتهم التي كانت من مآثرهم قبل الإسلام، ولذا شرب من الدلو مع الناس، ولم ينزع مع بني عمه، حتى لا يغلبوا عليها.

ثم عاد صلى الله عليه وآله وسلم إلى «منى»، فصلَّى بالناس صلاة الظهر[١٩٤].

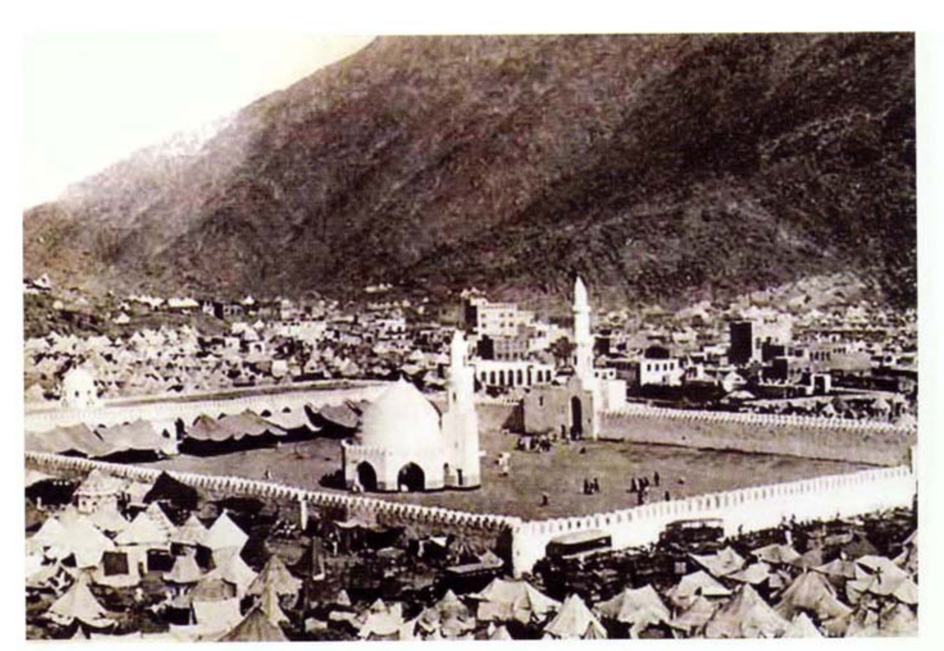
ولك أن تتساءل: كيف اتسع وقته صلى الله عليه وآله وسلم لكل هذه الأعمال من الرمي، والخطبة، وإفتاء الناس، وإنزالهم منازلهم، ثم النحر لثلاث وستين بدنة، ثم الحلق، والتهيؤ للطواف باللباس والطيب، ثم القدوم للبيت والطواف، ثم الرجوع بعد ذلك؟!

فكيف اتسع لذلك كله ضحوة من نهار؟! إنها البركة التي جعلها الله في وقته وعمله، ولذا أنجز في هذا الوقت كل هذه الأعمال الكثيرة، فإن أبيت إلا التساؤل، فانظر كيف اتسعت ثلاث وعشرون سنة من عمره المبارك لأعظم إنجاز في تاريخ البشرية، وهو بلاغ رسالات الله إلى الخلق، واستنقاذهم من النار، وإخراجهم من الظلمات إلى النور!

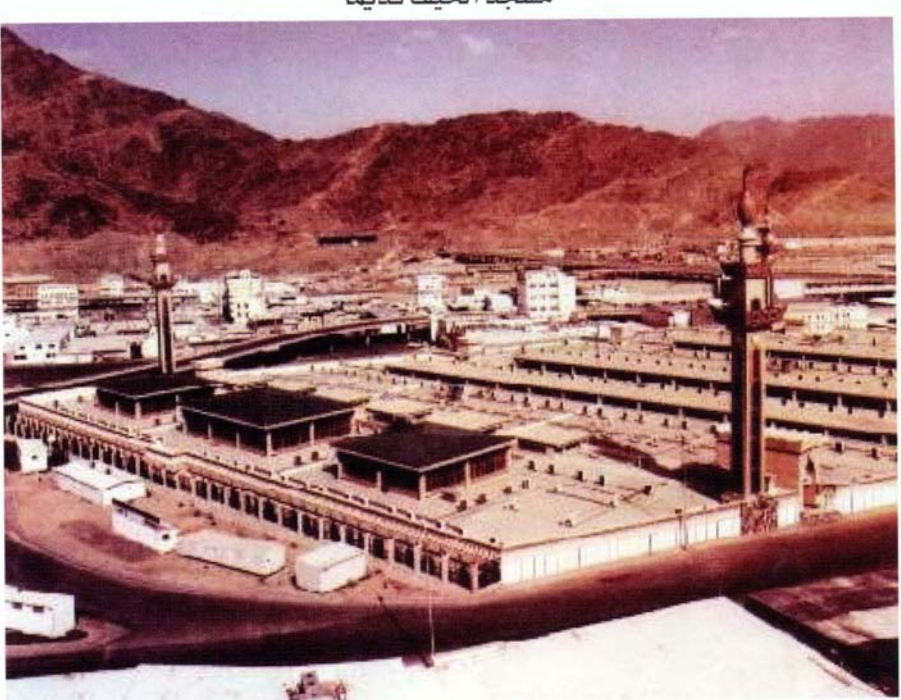


صورة قديمة للحرم التقطت في عام ١٣٠٠هـ


أيام منى



مسجد الخيف قديمًا



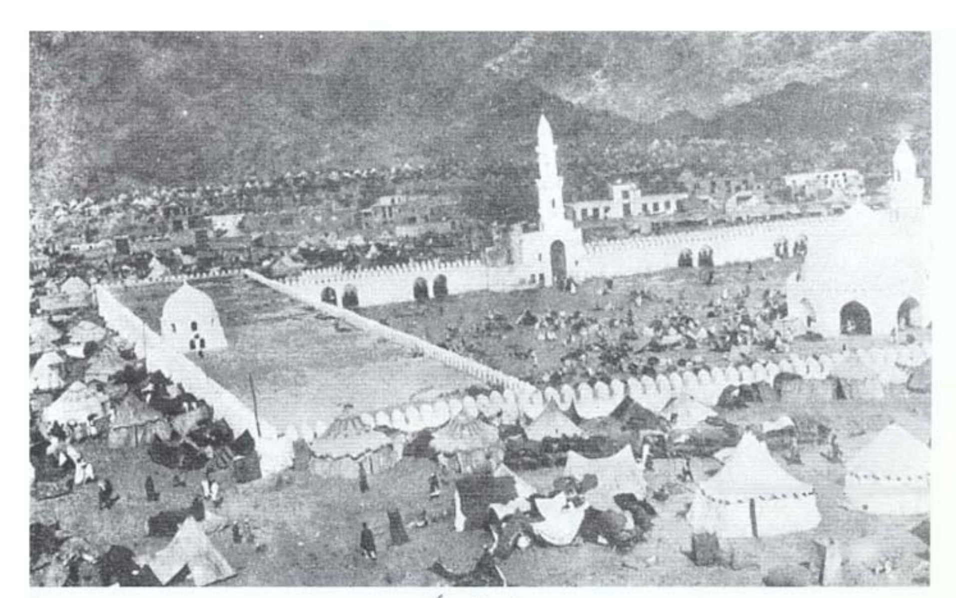
مسجد الخيف حديثًا



عاد صلى الله عليه وآله وسلم إلى «منى»، فمكث بها يومه يصلِّي الصلوات في أوقاتها، ويقصر الرباعية منها، وكان يصلِّي بالناس في مسجد الخَيْف، الذي قال فيه: **«صلَّى بمسجدِ الخَيْفِ سبعون نبيًّا»**[١٩٥].

وكان المسجد فضاءً ليس له جُدر، وصف ابن عباس رضي الله عنهما صلاته فيه، فقال: أقبلتُ راكبًا على حمار أتان -وهي الأنثى- وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلِّي بالناس بمنى في حجة الوداع إلى غير جدار، فمررتُ بين يدي بعض الصف، فنزلتُ وأرسلتُ الحمارَ ترتع، ودخلتُ في الصف، فلم ينكر ذلك عليَّ أحد[١٩٦].

ولما صلَّى صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد الخَيْف صلاة الفجر، انحرف جالسًا، واستقبل الناسَ بوجهه، فإذا هو برجلين من وراء الناس لم يصليا مع الناس، فقال: **«ائتوني بهذين الرجلين»**. فأتي بهما تَرْعَدُ فرائصُهما[١٩٧]، فقال: **«ما منعكما أن تصليا مع الناس؟»**. قالا: يا رسول الله، إنا قد كنا صلينا في الرحال. قال: **«فلا تفعلا؛ إذا صلَّى أحدكم في رحله، ثم أدرك الصلاة مع الإمام فليصلها معه، فإنها له نافلة»**. فقال أحدهما: استغفر



منى قديمًا



منى قديمًا



لي يا رسول الله. فاستغفر له. قال يزيد بن الأسود رضي الله عنه: ونهض الناسُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونهضتُ معهم، وأنا يومئذ أشب الرجال وأجلده. قال: فما زلتُ أَزْحَم الناس حتى وصلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذتُ بيده، فوضعتُها إما على وجهي أو صدري. قال: فما وجدتُ شيئًا أطيبَ ولا أبردَ من يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١٩٨).

وكان وقته صلى الله عليه وآله وسلم معمورًا بالذكر؛ عملًا بقول الله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣].

والمستشرف لأخبار النبي وحاله يُرى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يكبِّر في قبته بمنى، ويكبِّر أهل المسجد وأهل السوق بتكبيره؛ حتى ترتج «منى» تكبيرًا، فقد ثبت هذا عن عمر رضي الله عنه من فعله(١٩٩)، وما نحسبه فعله إلا تأسيًا به صلى الله عليه وآله وسلم.

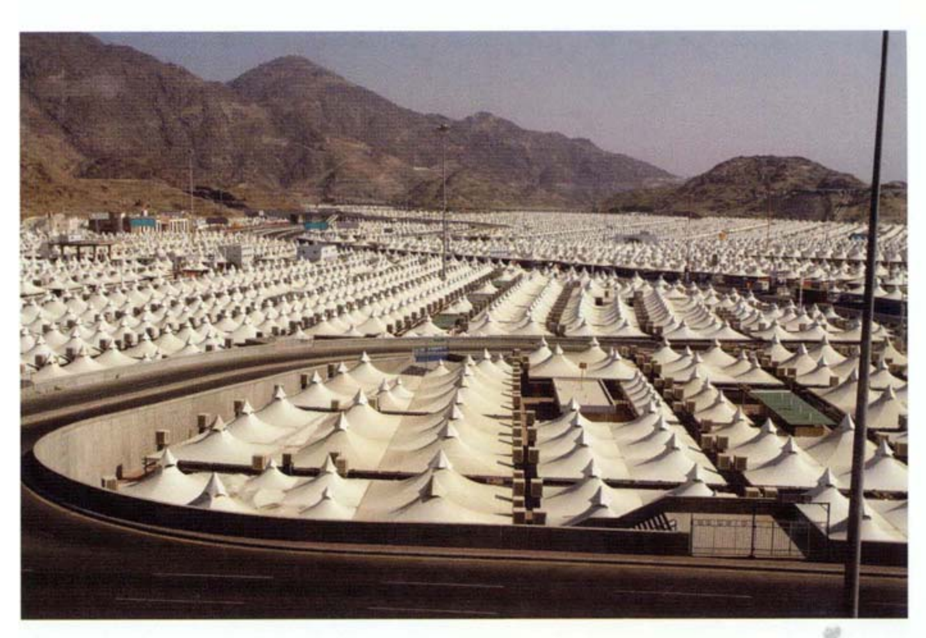
وأرسل صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من أصحابه، منهم عليُّ بن أبي طالب، وأبو هريرة، وابنُ عمر، وبشرُ بن سُحيم، وكعبُ بن مالك، وأوسُ ابن الحدثان، وعبدُ الله بن حذافة، وسعدُ بن أبي وقاص؛ يطوفون في شعاب منى، ينادون: «**لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وأيام منى أيام أكل وشرب وذكر لله، فلا صوم فيها**»(٢٠٠).

يوم القَر:

وفي اليوم الحادي عشر -ويسمَّى: يوم الرؤوس، ويوم القَرِّ(٢٠١)- خطب الناسَ على بغلة شَهْبَاءَ، وعليه برد أحمر، وعلي رضي الله عنه يبلِّغ عنه



منى حديثًا

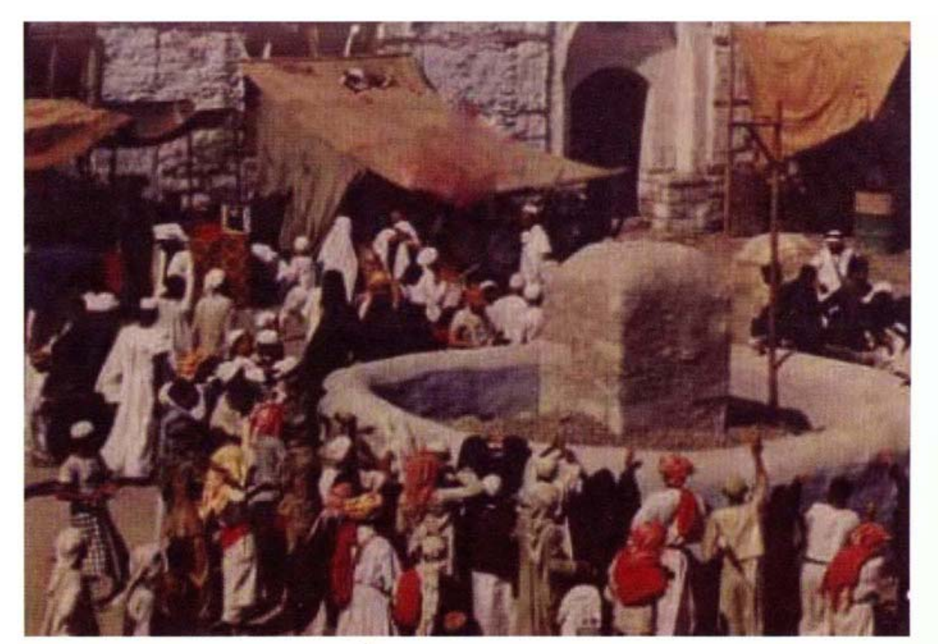


منى حديثًا



الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أي بلد هذا؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أليس المشعر الحرام؟**». قالوا: بلى. قال: «**فأي يوم هذا؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أليس أوسط أيام التشريق؟**». قالوا: بلى. قال: «**فإن دماءكم، وأعراضكم، وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، فليبلغ أدناكم أقصاكم. أيها الناس، إنما المؤمنون إخوة، فلا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، فمَن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى مَن ائتمنه عليها. ألا هل بلغت، اللهم فاشهد. أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، ليس لعربي فضل على عجمي، ولا لعجمي فضل على عربي، ولا لأسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى، إن الله يقول:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣]. **أيها الناس، أرقَّاءَكم أرقَّاءَكم، أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، وإن جاؤوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم. ألا وإن الولد للفراش، وللعاهر الحَجَر، وحسابهم على الله تعالى، ومَن ادَّعى إلى غير أبيه، أو تولَّى غير مواليه، رغبة عنهم؛ فعليه لعنة الله البالغة إلى يوم القيامة، لا يقبل الله منه صَرْفًا ولا عدلًا**». ثم قال: «**اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟**». قالوا: بلَّغ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال رافع بن عمرو المزني رضي الله عنه يصف هذا المشهد: أقبلت مع أبي وأنا غلام في حجة الوداع، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم



الجمرة الصغرى قديمًا



رمي الجمرة الوسطى قديمًا

يخطب الناسَ على بغلة شهباء، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يعبِّر عنه، والناس بين جالس وقائم، فجلس أبي وتخللت الرِّكاب، حتى أتيتُ البغلة، فأخذتُ بركابه، ووضعتُ يدي على ركبته، فمسحتُ الساق حتى بلغتُ بها القدم، ثم أدخلتُ كفي بين النعل والقدم، فيخيل إليَّ الساعةَ أني أجد برد قدمه على كفي (٢٠٢).

ولئن عجب رافع بن عمرو من برد قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإننا نعجب من برد خلقه، وطيب نفسه، إنها النفس الرضية والخلق العظيم، أن يمضي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته، ويدع الغلام يمسح قدمه، ويدخل يده تحت شراك نعله، وهو ماضٍ في شأنه، معلِّم بحاله ومقاله.

ثم ألا يستوقفك هذا الإِلْظَاظُ منه صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثة أيام تباعًا، هي أعظم الأيام حرمة، في أعظم الشهور حرمة، في أعظم البلاد حرمة: «**إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**».

لقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يحيط حرمة الدماء بهذا السياج المنيع أن تُتسور أو تُخترق، ثم بعد هذا الموقف بخمس وعشرين سنة، وقبل أن ينقطع صدى صيحات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك، سفك ناس من المسلمين دم الخليفة الراشد، ثم تقابل بالسيوف بعض مَن كانوا في هذا المشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكأنما كان صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، وهو يكرِّر النداء، ويُلْحِفُ في المناشدة.



الجمرة الوسطى قديمًا



الجمرة الوسطى قديمًا

فأي بيان أبينُ، وأيُّ بلاغٍ أبلغُ لحرمة هذه الحقوق من بيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبلاغه ذلك! وما أعظم المصيبة أن تُنتهك حرماتها لطمع من الدنيا عارض، وما أفجع الفاجعة إذا سفك الدم المسلم بحجة الدين والجهاد، وهذا بيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبلاغه واستشهاده: «**اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد**». فاللهم عصمتك وهداك.

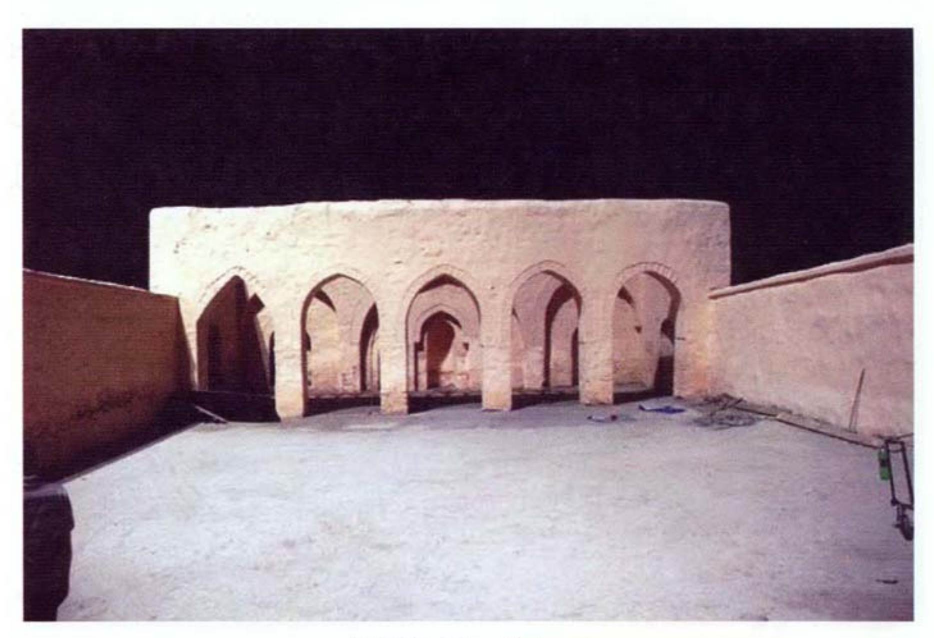
رمي الجمرات:

ثم لما انتصف النهارُ وزالت الشمس توجَّه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الجمرات ماشيًا، فبدأ بالجمرة الصغرى، فرماها مستقبل القبلة بسبع حصيات، يكبِّر الله مع كل حصاة، ثم تقدَّم حتى أَسْهَلَ؛ ليبعد عن زحام الناس، فرفع يديه واستقبل القبلة، يكبِّر الله ويسبِّحه ويحمده، ودعا وتضرَّع طويلًا، ثم قصد الجمرة الوسطى، فرماها مستقبل القبلة بسبع حصيات، يكبِّر مع كل حصاة، كما صنع عند الصغرى، ثم أخذ ذات الشمال، واستقبل القبلة، ورفع يديه ذاكرًا وداعيًا ومتضرِّعًا، وأطال الوقوف، وكان وقوفه عند الجمرتين قريبًا من قراءة سورة البقرة، وكان وقوفه عند الجمرة الثانية أطول من الجمرة الأولى، ثم مضى إلى جمرة العقبة فاستقبلها، وجعل منى عن يمينه، والقبلة عن يساره، ورماها بسبع حصيات، يكبِّر مع كل حصاة، ولم يقف عندها[٢٠٣].

وهكذا صنع في اليوم الثاني عشر، وتأخَّر صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليوم الثالث عشر، ولم يتعجَّل، وكان يمشي إلى الجمرات ذاهبًا وراجعًا،



مسجد البيعة في شعب الأنصار بمنى



مسجد البيعة من الداخل

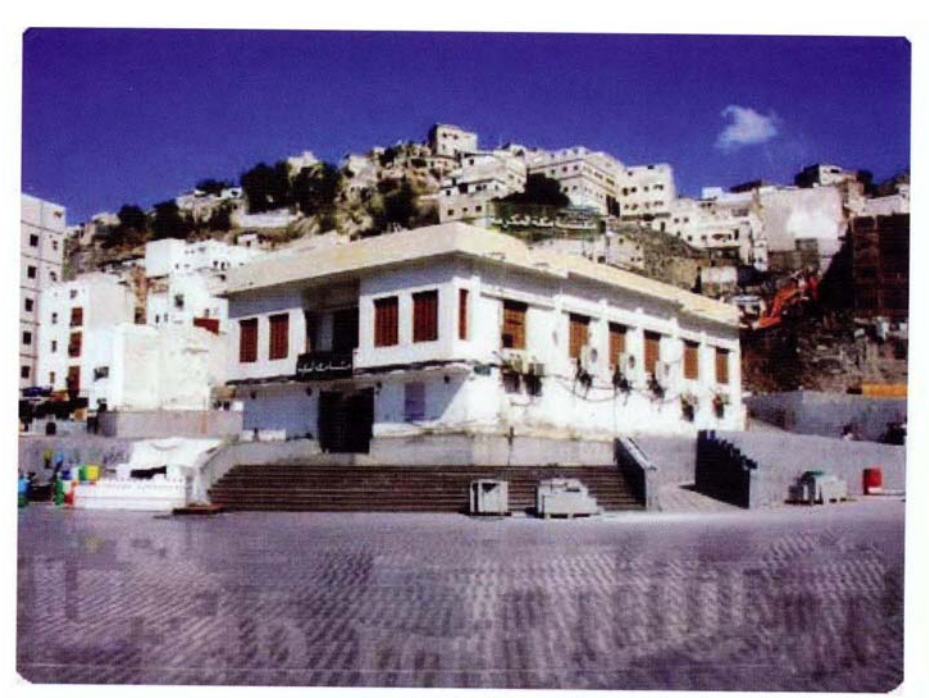
وربما ركب أحيانًا في رجوعه منها[٢٠٤].

وفي إحدى روحاته إليها عرض له رجلٌ وهو عند الجمرة الأولى، فقال: يا رسول الله، أي الجهاد أفضل؟ فسكت عنه، فلما رمى الجمرة الثانية سأله، فسكت عنه، فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز ليركب قال: «**أين السائل؟**». قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «**كلمة حق تقال عند سلطان جائر**»[٢٠٥].

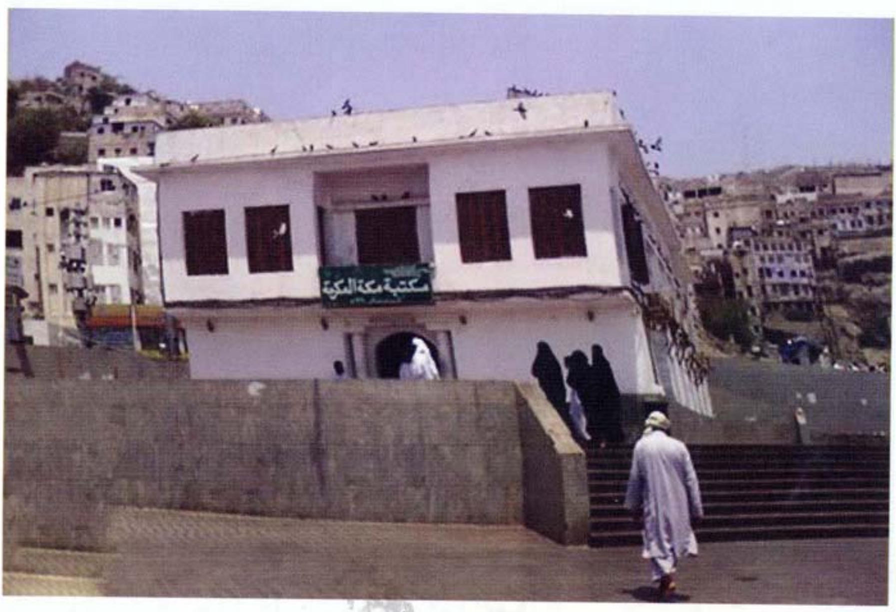
وكان صلى الله عليه وآله وسلم سمحًا في إقامة المناسك، وهو المبعوث بالحنيفية السمحة، ميسِّرًا للناس رفيقًا بهم، فمن ذلك أنه رخَّص للرعاة أن يرموا يوم النحر، ثم يدعوا يومًا، ثم يرموا من الغد[٢٠٦]، ورخَّص للعباس رضي الله عنه أن يبيت بمكة لأجل سقايته[٢٠٧]، ولم يحفظ عنه في حجته أنه أوجب دمًا على أحد، برغم كثرة الجموع معه، وكونهم حدثاء عهد بالإسلام، يؤدون حجهم أول مرة، وإنما كان هِجِّيرَاهُ[٢٠٨] للناس: «افعل ولا حرج، لا حرج، لا حرج، قد أذهب الله عنكم الحرج». مصدِّقًا قول ربه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

تداعي الذكريات:

وهكذا انقضت ثلاثة أيام ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في «منى» التي شهدت فجاجها وشعابها دعوته الأولى قبل بضع عشرة سنة، يوم كان يغشى قبائل العرب في مواسمها، ويدخل عليها فجاج منى يدعوهم إلى الله، وقومه جُرءَاءُ عليه، يجاهرونه بالكفر، ويبادرونه بالعدوان، ويتعاقدون على القطيعة، يذكر هذا كله، وفجاج «منى» تذكِّره بماضيها معه، وماضيه



شعب بني هاشم



شعب بني هاشم

معها، يوم سرى في ظلمة الليل مواعدًا عصبة الأنصار، يتسلَّلون إليه تسلُّل القَطا[٢٠٩]، ليبايعهم على الهجرة، مستخفيًا من قومه أن يَنْذُروا به، هل ذكَّرت «منى» رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا وغيره، ليقول لما سُئل: أين تنزل غدًا يا رسول الله؟ قال: «**بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ**»[٢١٠].

لقد اختار رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم «خَيْف بني كنانة» مكانًا لنزوله إذا خرج من «منى»؛ ليظهر جميل صنع الله وصدق موعوده؛ فهذا المكان هو الذي تعاقدت فيه قريش وحلفاؤها بنو كنانة على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، وحصارهم في شعب بني هاشم، فلا يبايعونهم ولا يناكحونهم، حتى يُسْلِمُوا إليهم محمدًا[٢١١]، جهدًا منهم أن يطفئوا نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ثم ها هو ذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينزل في ذات المكان، وقد أظهره الله على الدين كله، ونصره وأعزَّه، وفتح له فتحًا مبينًا، وأكمل له الدين، وأتمَّ عليه النعمة، ودخل الناسُ في دينه أفواجًا، وحج بالناس وبيَّن لهم شرائع الدين، وأقام لهم مناسكهم، وقد نفر بعد إكمال المناسك، فنزل في الموضع الذي تقاسمت فيه قريش على الظلم والعدوان والقطيعة؛ مراغمةً للشرك، وإعلانًا بالشكر لله على جميل صنعه ولطيف تدبيره.

فلما رمى في اليوم الثالث عشر نفر إلى المحصَّب «خَيْف بني كنانة»[٢١٢] قبل صلاة الظهر، وجعل الناس ينصرفون في كل وجه، فقال: «**لا ينفرنَّ أحدٌ حتى يكونَ آخرُ عهده بالبيت**»[٢١٣].



جانب من المحصب، (خيف بني كنانة)



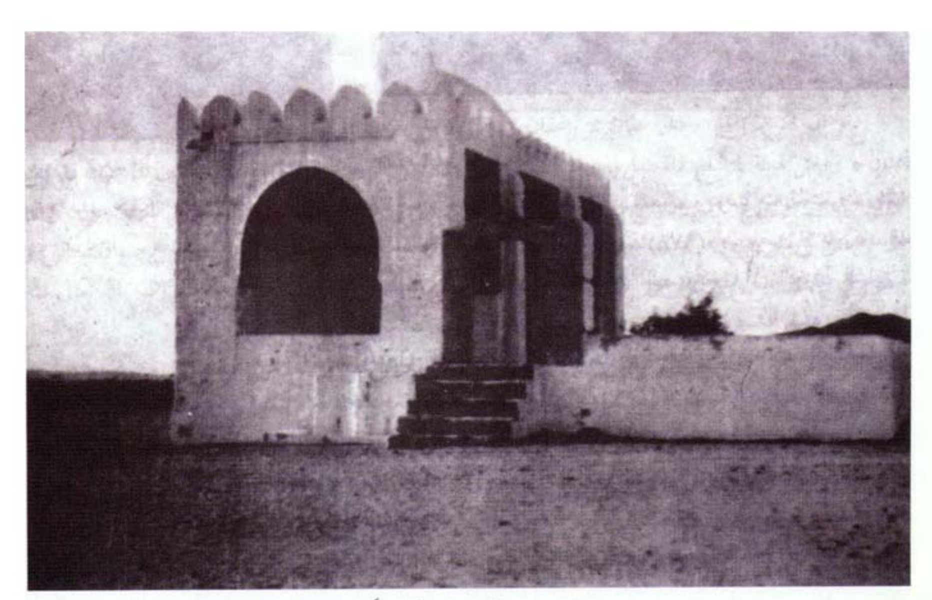
مسجد الاجابة في المحصب



كان رجلًا سهلًا:

ثم نزل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في خَيْف بني كنانة - ويقع اليوم في الجميزة حول مبنى أمانة العاصمة المقدسة- فصلَّى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء[٢١٤]، فقالت له عائشة رضي الله عنها تلك الليلة: يا رسولَ الله، يرجع الناسُ بعمرة وحجة، وأرجع أنا بحجة! تشير إلى أنها لم تأتِ بعمرة مستقلة قبل حجها، كما صنع بقية أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما كانت قارنة بسبب حيضتها، فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يَسَعُكِ طَوافُكِ بالبيتِ لِحَجِّكِ وعُمْرَتِكِ**». فأبتْ، وقالت: يا رسولَ الله، ينطلق الناسُ بحج وعمرة وأنطلق بحج، ويرجع الناس بأجرين وأرجع بأجر واحد! قال: «**إن لك مثل ما لهم**». قالت: إني أجد في نفسي أني لم أطف بالبيت حتى حججت. وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلًا سهلًا، إذا هويت شيئًا تابعها عليه، فدعا أخاها عبد الرحمن، فقال: «**اخرج بأختك إلى التَّنْعِيمِ، فإذا هبطتَ من الأَكْمة، فلتهل بعمرة، فإنها عمرةٌ متقبَّلة، ثم افرغا من طوافكما، أنتظركما ها هنا**». ثم قال لها: «**إنَّ لك من الأجر في عمرتك على قدر نصبك ونفقتك**». قالت: يا رسولَ الله، ألا أدخل البيت؟ تعني الكعبة. قال: «**ادخلي الحِجْرَ؛ فإنه من البيت**».

قالت عائشة: فأردفني عبد الرحمن خلفه على جمله، فإني لأذكر وأنا جارية حديثة السن أنعس، فيصيب وجهي مُؤَخَّرَة[٢١٥] الرَّحل[٢١٦]، وكانت ليلة شديدة الحر، فكنتُ أَحْسِرُ خماري عن عنقي، فيتناول رجلي فيضربها بالراحلة، فقلتُ: هل ترى من أحد! فانتهينا إلى التنعيم، فأهللتُ بعمرة



مسجد التنعيم قديمًا



مسجد التنعيم حديثًا، وترى أمامه علامات حدود الحرم

جزاء بعمرة الناس التي اعتمروا، ثم قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالحَصْبة لم يبرح، وأما رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فهَجَعَ هَجْعَةً في المحصَّب، حتى ذَهَبَ هَوِيٌّ من الليل، فاستيقظ في هَزِيعِ الليل الآخر؛ ليسير بمَن معه إلى الكعبة؛ فيطوف طواف الوداع، فجاءته عائشة رضي الله عنها وهو في منزله من آخر الليل، فقال: «**هَلْ فرغتما؟**». قالت: نعم. قال: «**هذه مكان عمرتك**»[٢١٧].

وصارت عمرة عائشة رضي الله عنها هذه دليلًا للأمة على مشروعية العمرة للمكي، وأن مَن أدَّى العمرة وأراد أن يأتي بعمرة أخرى من الحل؛ فإن له ذلك، وما هي بأول بركات أمنا المباركة رضي الله عنها.

ثم نادى صلى الله عليه وآله وسلم بالرَّحيل في أصحابه، فلما أراد أن ينفر إذا زوجه صفية رضي الله عنها على باب خبائها كئيبة حزينة، وكانت قد حاضت، فقالت: ما أراني إلا حابستكم. قال: «**أو ما كنت طفت يوم النحر؟**». قالت: بلى. قال: «**لا بأس، فانفري**»[٢١٨]. فكانت سنة للمرأة إذا طافت طواف الإفاضة، ثم حاضت، سقط عنها طواف الوداع.

وشكت إليه أم سلمة رضي الله عنها أنها مريضة، ولا تستطيع الطواف مع الناس، فقال لها: «**إذا أقيمت صلاة الصبح، فطوفي على بعيرك من وراء الناس وهم يصلون**»[٢١٩].

نظرات الوداع:

ثم هبط صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحرم ليطوف طواف الوداع، دخل صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد الحرام، فطاف بالكعبة طواف



ريع الرسام (طريق كُدى)



ريع الرسام (طريق كُدى)

الوداع سحرًا، فلما قضى طوافه إذا نور الفجر قد صَدَعَ الأفق، فأُذِّن لصلاة الفجر، ثم صلَّى بالناس صلاة الصبح يترسل في قراءته بسورة الطور[٢٢٠]، وكانت هذه آخر صلاة صلاها والكعبة وجاهه، وآخر نظرات تملتها عيناه من بيت الله المعظم الذي طالما تملته ونظرت إليه.

ثم خرج صلى الله عليه وآله وسلم من «مكة» من أسفلها من المكان المعروف بـ «الشبيكة»، وسلك طريق كُدى[٢٢١]، ويعرف اليوم بريع الرسام، حتى نزل بذي طُوى، وهو المكان الذي نزل به عند دخوله مكة، حتى يتتابع إليه أصحابه، ويلحق به مَن تأخر عنه.

سرب صلى الله عليه وآله وسلم من مكة، وسربت معه القبائل إلى بلادها، وتفرَّقت جموعها في فجاج الأرض، بعد ليال عشر عظيمة مشهودة، كانوا فيها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما كانت هذه الجموع تدري أنه وهو يودِّعها كان يودِّع الدنيا، وأن أيامهم معه هي أيامه الأخيرة مع الحياة، وأنه قد أنهى مهمته على الأرض، وقضى ما عليه، وإنما هما شهران وأيام، ثم يلحق بالرفيق الأعلى والمحل الأسنى، فصلوات الله وسلامه وبركاته على نبيه محمد النبي الصادق الأمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وخلفائه الراشدين، وسائر الصحابة أجمعين، ومَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

■■■■

إلى المدينة

بئر طوى

طريق كُدى

الشبيكة

خريطة مكة المكرمة

خريطة الخروج من مكة



ما قبل الكتابة

مادة هذا الكتاب حصيلة تطواف على موارد عديدة ومتنوعة، هي مجمع الأخبار النبوية، ولم أشأ أن أعرضها بالطريقة التفصيلية المعتادة في سرد أسماء الكتب، ولكن بالإشارة الإجمالية إلى أنواع جامعة لهذه الموارد:

أولًا: المؤلَّفات المفردة عن حجة الوداع:

لعل أقدم تأليف مستقل عن حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هو حديث جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري رضي الله عنه؛ فإنه من أحسن الرواة سياقة لحجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وترتيب أعمالها، ولذا سُمِّي حديثه منسكًا، فقال الذهبي في ترجمته في «تذكرة الحفاظ»: «وله منسك صغير في الحج. أخرجه مسلم»[٢٢٢].

وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» في ذكر حجة الوداع، فقال: «فصل في إيراد حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما في حجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو وحده منسك مستقل»[٢٢٣].

ولعظمة حديث جابر رضي الله عنه، اعتنى به الأئمة، فقد شرحه الحافظ أبو بكر ابن المنذر في جزء له، وأخرج فيه من الفقه مائة ونيفًا وخمسين نوعًا، ولو تقصى لزيد على هذا القدر قريب منه[٢٢٤].

وقد رجعت في حديث جابر رضي الله عنه إلى:

١- «حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما رواها جابر رضي الله عنه» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

٢- «صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، شرح حديث جابر الطويل» للشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطريفي.

٣- «شرح حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم» للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله.

كما رجعت للكتب الجامعة في جمع صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها:

١- «حجة الوداع» للإمام أبي محمد علي بن حزم الظاهري، واستفدت من مقدمته التي جمع فيها روايات الأحاديث في سياق واحد، فسلكت الطريقة نفسها في هذا الكتاب.

٢- «صفوة القِرى في صفة حجة المصطفى، وطوفه بأم القرى» لمحب الدين أحمد بن عبدالله الطبري وقد طبع باسم «حجة المصطفى».

٣- «حجة الوداع» لمحمد زكريا الكاندهلوي، وهو شرح لصفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أوردها ابن القيم في «زاد المعاد».

٤- «صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لعصام موسى هادي، وهو جمع مستقص لأحاديث حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع ترتيب سياقها.

٥- «الوصية النبوية» د. فاروق حمادة، وهو جمع وشرح لألفاظ خطبة حجة الوداع.

ثانيًا: كتب الحديث الجوامع:

ولجمع أكبر عدد من روايات الأحاديث، فقد استعرضت كتاب الحج في بعض كتب الحديث الجامعة، ومنها:

١- «الجمع بين الصحيحين» لأبي محمد عبد الحق الإشبيلي.

٢- «زوائد السنن على الصحيحين» للشيخ صالح بن أحمد الشامي.

٣- «جامع الأصول» لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري.

٤- «مجمع الزوائد» للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.

٥- «المطالب العالية» للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

وقد استفدت من هذه المراجع المتخصصة والجامعة، وقادتني إلى أصولها من كتب السنة، كـ «الصحيحين»، و«السنن»، و«المسانيد»، و«المعاجم»، مما تراه في هوامش الكتاب الملحقة.

ومما أفادني كثيرًا الرجوع إلى شروح الحديث الموسَّعة، كـ «فتح الباري»، و«هدي الساري»، و«إكمال المعلم»، وشروح المشكاة، ونحوها.

ثالثًا: كتب السير والشمائل:

وجاء ذكر حجة الوداع ضمن سياق سيرته وهديه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الكتب، ومنها:

١- «زاد المعاد» للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية.

٢- «البداية والنهاية» للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (قسم السيرة النبوية).

٣- «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» للحافظ أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي.

رابعًا: كتب تاريخ مكة:

وقد رجعت فيها إلى «تاريخ مكة» للأزرقي، المسمى: «أخبار مكة شرفها الله تعالى، وما جاء فيها من الآثار»، و«تاريخ مكة» للفاكهي، المسمى: «أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه»، و«تاريخ مكة» للكردي، المسمى: «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم»، وقد طبعت كلها بعناية معالي الشيخ د. عبد الملك بن عبدالله بن دهيش.

خامسًا: التلقي عن الأشياخ:

مع ما استفدت من مشايخي، ومنهم معالي الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع، ومعالي الشيخ عبد الله ابن الشيخ المحفوظ بن بيه، ومعالـي الشيخ د.

عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ومعالي الشيخ د. عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، وأخي الشيخ العلامة عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، وغيرهم.

وكذلك ما استفدته ممن أدركتهم من كبار السن في نجد والحجاز، والذين أدركوا البيئة الحياتية القريبة لحال الناس في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كالارتحال على الإبل، وورود المياه والآبار، ومعرفة الأدوات المستخدمة لتقارب البيئة ونمط الحياة.

سادسًا: الصور والخرائط:

١- ما قمت بتصويره من المواضع المذكورة في سياق حجته صلى الله عليه وآله وسلم، منذ خروجه من المدينة إلى خروجه من مكة.

٢- «أطلس خرائط مكة المكرمة» د. معراج بن نواب مرزا.

٣- «الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة» د. معراج بن نواب مرزا، د. عبد الله بن صالح شاوش، من إصدارات دارة الملك عبد العزيز.

٤- مجموعة صور وخرائط من «مركز دراسات وأبحاث المدينة النبوية» شاكرًا للمركز جميل تعاونهم.

٥- صور من مجموعة الأخ طاهر نيازي، تكرَّم بإرسالها إليَّ.

٦- صور من كتاب «الحبيبة المدينة المنورة». حاتم عمر طه، صالح عبد الحميد حجار.





ما بعد الكتابة

بين يدي توثيق مادة هذا الكتاب وعزوها إلى مصادرها الأصلية، يحسن التنبيه إلى خطة الاختيار للنصوص، ومنهج الصياغة، والذي راعيت فيه ما يلي:

١- إن الصياغة لسياقة أحداث حجته صلى الله عليه وآله وسلم هي ضميمة روايات أو أخبار متعدِّدة دُمجت في مساق واحد، من غير تفصيل لرواياتها أو التزام بنص بعينه من نصوصها، متأسِّيًا في ذلك بسياقة الإمام الزهري رحمه الله عندما رَوى حديث الإفك عن عدد من شيوخه، فقال: «وكلُّهم حدَّثني طائفةً من حديثها، وبعضُهم أوعى من بعض وأثبتُ له اقتصاصًا، وقد وَعَيْتُ عن كل واحد منهم الحديثَ الذي حدَّثني عن عائشة، وبعضُ حديثهم يصدِّق بعضًا»[٢٢٥]. ثم ساقه سياقًا واحدًا.

والإمام ابن جُريج رحمه الله، وقد روى حديث جمل جابر رضي الله عنه، عن عطاء بن أبي رباح وغيره، فقال: «يزيد بعضُهم على بعض، ولم

يُبَلِّغْهُ كُلَّه رجلٌ منهم»[٢٢٦].

وإمام المغازي والسير محمد بن عمر الواقدي رحمه الله، حين يروي الخبر عن عدد من شيوخه، ثم يقول: «فكلٌّ قد حدَّثني بطائفة من هذا الحديث، وبعضُ القوم كان أوعى له من بعض، وقد جمعتُ كلَّ الذي حدَّثوني»[٢٢٧].

وكذلك صنيع بعض أئمة الحديث حين يروي الحديث الواحد عن عدد من شيوخه فيقول: «دخل حديث بعضهم في بعض»[٢٢٨]. ثم يسوقه بلفظ هو مجموع رواياتهم، فيكون جميع الحديث عن مجموعهم، لا أن مجموعه عن كل واحد منهم[٢٢٩].

وعلى ذلك طريقة الإمام ابن حزم رحمه الله في كتابه «حجة الوداع»؛ حيث أدمج مروياته في طَليعة كتابه في نص وسياق واحد في نحو اثنتي عشرة صفحة، ثم جعل بقية الكتاب تفصيلاً له.

ولذا، فإن العزو في كل فقرة إلى مجموعة من المصادر الحديثية الجامعة، هو للنص الذي يكون سياقه متحصَّلاً من مجموعها، وإن كان مفرَّقًا بينها.

٢- لا ألتزم لفظ الصحابي في روايته للحدث والواقعة، وإن كنتُ أتحرَّاه ما أمكن، ولكن قد أتصرَّف باللفظ بحدود ما يلزم به ربطه بالنصوص الأخرى، ودمجه مع مساق الأحداث.

أما اللفظ النبوي، فهو ما ألتزمه، ولا أتصرَّف فيه، إلا على سبيل الاختيار من الروايات، أو الجمع بينها ؛ ليتحصَّل من مجموعها أوفى النصوص وأكملها .

٣- اجتهدتُ في هذا الكتاب في استيعاب النصوص الصحيحة ما أمكنني، وقد أورد روايات وأخبارًا في سندها بعض الضعف، إذا كانت تأتلف مع سياق الأخبار الصحيحة، وليس في متنها نكارة ظاهرة، وذلك أن جمع الأخبار إلى بعضها يكشف عما يستنكر، ولا يأتلف مع جملة ما صح منها، وإن كان ظاهر إسناده الصحة أحيانًا ، كما أنه يجبر ضعف بعض ما ورد بإسناد فيه مقال لوجود شواهد لمعناه، أو لأن سياق الأخبار يقتضيه، أو لأنه يسد فجوة في سياق الأحداث، وليس في متنه ما يستنكر.

٤- يرد في أخبار كثيرة تحديد زمانها ومكانها مما يسهل وضعها في موضعها الصحيح من سياق حجته صلى الله عليه وآله وسلم، وهناك أخبار أخرى لم يرد معها ما يدل على زمانها أو مكانها، ولذا فإن ترتيبها في سياق الأحداث يحتاج إلى جَهْد واجتهاد.

وقد جَهِدت أن يكون كل خبر في سياقه الزماني والمكاني، بحسب ما يدل عليه لفظه ومجموع رواياته واتساقه مع بقية الأخبار، ولكن الجهد قد يقصر، والاجتهاد قد يخطئ، ولكن حسبي أني اجتهدت وما ألوت.

٥- قام أخي الشيخ محمود شعبان عبد المقصود بتخريج الأحاديث والأخبار وعزوها إلى مصادرها الأصلية، وقد بذل في ذلك جهدًا يُذكر فيُشكر، حتى يظهر الكتاب بهذا التخريج الموعب والتوثيق الدقيق، فشكر الله له نصحه وجهده.

وبعدُ؛ فإني أشكر وأدعو لكل مَن اطَّلع على هذا الكتاب، ثم تكرَّم فأرسل لي تنبيهًا يكمِّل نقصًا، أو يَسُدُّ خللًا، أو يصحِّح خطأ، فالعلم رحم بين أهله، والمرء قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه، ولا يزال كل علم يَجِدُّ لنا يذكِّرُنا بقول خالقنا: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وأسأل الله لكل مَن سَرَى بصرُه في هذا الكتاب حتى بلغ هذه السطور، أن يهب له من محبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما ينال به كريم بشراه يوم قال: «**المرء مع مَن أحب**»[٢٣٠].

كما أدعو ربي لكل مَن ذكرني بدعوة صالحة أن يستجيب له ما دعى ويؤتيه أفضل مما سأل، ويجمعني وإياه مع المتحابين بجلاله تحت ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الوهاب بن ناصر الطريري

الرياض

٢٠/ ٢/ ١٤٣٢هـ

altriri@hotmail.com

■ ■ ■ ■



موكب البشائر

تفضَّلَ شيخُنا العلامة المحقق معالي الشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّه بعد قراءة الكتاب بكتابة هذه الأبيات، وهي من حفاوة الوالد بولده، وتشجيع العالم لتلميذه، ومشهد من تواضع الكبار وفضل أولي الفضل:

أبا ناصرٍ، أكـرِمْ بـــه مـن مسافـرِ صحبـتَ ومـن نُـوْرٍ على الأرض سائـرِ

ومن رحـلــةٍ لم يَـشـهـدِ الدهـرُ مثلَها ومـن رُفْقَةٍ فـوقَ النـجـومِ الزواهـرِ

تـقـدَّمها خـيــرُ البـــريـةِ كـلِّها مـواكبُـه محـفــوفـةٌ بالـبـشـائــرِ

وقد أسهَبَ الأصحابُ في وصفِ ما جرَى فمن نجلِ عباسٍ لأسْـمَـا وجابـرِ

كتبتَ بذَوْبِ القَــلْـبِ أَحْـرُفَ قِـصَّـةٍ ودمعٍ هتونٍ مُشْـرَعًـا بالمحـاجــرِ

فجازاكَ ربُّ العـرشِ عمَّـا صـنـعـتَـه بتبييضِ وجهٍ في الوجـوهِ النَّــواضـرِ

محبكم وطالب دعائكم

عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّــه



الهوامش

(١) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢٩٧)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٢٥)، وسيأتي تخريجه.

(٢) ينظر: «صحيح البخاري» (٦٣١، ٦٠٠٨، ٧٢٤٦)، و«صحيح مسلم» (٦٧٤).

(٣) ينظر: «طبقات ابن سعد» (١/ ٢٩٩)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ١٧٩)، و«مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٠٣)، (١٧/ ٣٩٩-٤٠٨)، (٢٦/ ٧، ٦٦)، و«زاد المعاد» (٢/ ١٠١)، (٣/ ٥٩٥-٥٩٦)، و«الإصابة» (٣/ ٢٧٢)، و«فتح الباري» (٣/ ٣٧٨)، (٨/ ٨٣)، و«التحرير والتنوير» (٢/ ٢٣١).

(٤) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٦٩، ١٦٢٢، ٤٦٥٥)، و«صحيح مسلم» (١٣٤٧)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٢٩٥ - ٢٩٦).

(٥) ينظر: «مسند أحمد» (١٤٤٤٠)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨)، و«سنن النسائي» (٢٧٤٠، ٢٧٦١)، و«صحيح ابن حبان» (٣٩٤٤).

(٦) ينظر: «مسند أحمد» (٩٠٥، ٢٣٠٤، ١٠٦٠٧)، و«صحيح البخاري» (٧٢٨٨)، و«صحيح مسلم» (١٣٣٧)، و«جامع الترمذي» (٨١٤، ٣٠٥٥)، و«سنن

ابن ماجه» (٢٨٨٥، ٢٩١٥)، و«سنن النسائي» (٢٦١٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٥٠٨)، و«صحيح ابن حبان» (٣٧٠٤)، و«معجم الطبراني الكبير» (٧٦٧١)، و«مسند الشاميين» (٩٥٥)، و«سنن البيهقي (٤/ ٣٢٤)، و«فتح الباري» (١٣/ ٢٦٠)، و«التحرير والتنوير» (٧/ ٦٦).

(٧) ينظر: «مسند أحمد» (٥٠٧٠، ٥٣٢٣)، و«صحيح البخاري» (١٣٣، ١٥٢٥)، و«صحيح مسلم» (١١٨٢)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩١٥)، و«سنن النسائي» (٢٦٥٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٥٩٩)، و«صحيح ابن حبان» (٣٧٦١).

(٨) ينظر: «مسند أحمد» (٤٨٦٨، ٥٣٢٥)، و«صحيح البخاري» (١٥٤٣، ١٥٤٥، ١٨٣٨، ٥٨٠٥)، و«صحيح مسلم» (١١٧٧)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩٢٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٦٨٤)، و«صحيح ابن حبان» (٤٨٣٥)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٤٩).

(٩) ينظر: «مسند أحمد» (٤٨٤٣، ٦٢٨٤)، و«صحيح البخاري» (١٠٨٩، ١٥٣٣، ١٥٤٥، ١٥٤٦)، و«صحيح مسلم» (٦٩٠، ١٢٥٧).

(١٠) ينظر: «مسند أحمد» (١٤١١٦)، و«صحيح مسلم» (١٢١٣).

(١١) ينظر: «مسند أحمد» (٢٦٩٥٣)، و«صحيح البخاري» (٥٠٨٩)، و«صحيح مسلم» (١٢٠٧، ١٢٠٨)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩٣٦)، و«سنن النسائي» (٢٧٦٦).

(١٢) ينظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠١).

(١٣) وكان بينها وبين المدينة مسافة عشرة كيلو مترات تقريبًا، أما اليوم؛ فقد اشتمل عليها عمران المدينة المنورة. ينظر: «معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية» (ص١٠٣-١٠٤).

(١٤) ينظر: «مسند أحمد» (٦٢٠٥)، و«صحيح البخاري» (١٥٣٥، ٢٣٣٦)، و«صحيح مسلم» (١٣٤٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٦١٦).

(١٥) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٨١٨)، و«صحيح البخاري» (١٠٨٩، ١٥٤٧)، و«صحيح مسلم» (٦٩٠)، و«سنن أبي داود» (١٢٠٢)، و«جامع الترمذي» (٥٤٦)، و«سنن النسائي» (٤٦٩)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٣٨).

(١٦) ينظر: «صحيح البخاري» (٢٧٠)، و«صحيح مسلم» (١١٩٢).

(١٧) ينظر: «مسند أحمد» (٢٥٥٨٧)، و«صحيح البخاري» (١٥٣٤، ١٥٥٦، ١٧٨٦)، و«صحيح مسلم» (١٢١١)، و«صحيح ابن خزيمة» (٣٠٢٨).

(١٨) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢١٨)، و«سنن النسائي» (٢٦٦٤)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩١٢).

(١٩) أشعرها: أي جرح سنامها حتى يسيل منه الدم. وقلَّدها: ألبسها القِلادة، وتكون نعلًا أو نحوه، يلطَّخ بالدم الذي سال عند الإشعار؛ ليُعلم أنها هدي؛ ولهذا تُسمَّى الإبل التي تُهدى للبيت: القلائد.

(٢٠) ينظر: «صحيح البخاري» (١٥٤٥)، و«صحيح مسلم» (١٢٤٣).

(٢١) وورد في «صحيح مسلم» (١٣٢٦) أن صاحب بُدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ذُؤيب أبو قَبِيصة رضي الله عنه، وفي «المسند» (١٦٦٠٩، ١٧٩٧٤) أنه رجل من الأنصار، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لكل واحد منهم كما قال لناجية رضي الله عنه، ولعلهم كلهم كانوا على بُدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنها عدد كثير، لا يقوم به واحد.

(٢٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٦٦٠٩، ١٧٦٦٧، ١٧٩٧٤، ١٨٩٤٣، ٢٣١٩٨)، و«صحيح مسلم» (١٣٢٦)، و«مسند الدارمي» (١٩٥٠)، و«سنن أبي داود»

(١٧٦٢)، و«جامع الترمذي» (٩١٠)، و«سنن ابن ماجه» (٣١٠٥، ٣١٠٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٥٧٧)، و«صحيح ابن حبان» (٤٠٢٣، ٤٠٢٥)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٢٤٣)، (٩/ ٢٨٤)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٦١٠).

(٢٣) الخِطْمي والأشنان: نبات يستعمل لتنظيف الشعر والبدن عند الاغتسال. ينظر: «لسان العرب» (٧/ ١٣٣)، (١٢/ ١٨٦)، (١٥/ ١٩٨).

(٢٤) ينظر: «مسند أحمد» (٤٧٨٣، ٤٨٢٩، ١٤٤٩٠)، و«صحيح البخاري» (١٥٣٨، ١٥٥٣، ١٥٦٦، ١٧٥٤، ٥٩٢٣)، و«صحيح مسلم» (١١٨٩، ١١٩٠، ١٢٢٩)، و«سنن أبي داود» (١٧٤٨)، و«جامع الترمذي» (٨٣٠)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٥٩٥، ٢٦٥٢)، و«سنن الدارقطني» (٢/ ٢٢٦)، و«المستدرك» (١/ ٤٥٠)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٣٢).

(٢٥) ينظر: «مسند أحمد» (٢٢٩٦)، و«صحيح البخاري» (١٥٥٣)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ١٢٤٣)، و«سنن أبي داود» (١٧٥٢)، و«سنن النسائي» (٢٧٨٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٦٠٩)، و«صحيح ابن حبان» (٤٠٠٢).

(٢٦) ينظر: «الزهد» لهناد (٨٢١)، و«الشمائل المحمدية» (٣٤١)، و«سنن ابن ماجه» (٢٨٩٠)، و«أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لأبي الشيخ (٤٦٣)، و«حلية الأولياء» (٣/ ٥٤)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٤٤٤).

(٢٧) الزاملة: هي البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع.

(٢٨) ينظر: «مسند أحمد» (٢٦٩١٦)، و«سنن أبي دود» (١٨١٨)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩٣٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٦٧٩).

(٢٩) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٦١٥)، و«صحيح مسلم» (٢٠٠٩).

(٣٠) البيداء: موضع مرتفع مشرف على ذي الحليفة إلى جهة مكة، ، وقد امتد إليها النطاق العمراني للمدينة النبوية.

(٣١) ينظر: «صحيح البخاري» (١٥٤٩، ١٥٥١، ١٧١٤)، و«صحيح مسلم» (١١٨٤)، و«سنن أبي داود» (١٧٩٦)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩٢٠)، و«سنن النسائي» (٢٧٥٢)، و«صحيح ابن حبان» (٣٨٠٠)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٤٥، ٢٣٧)

(٣٢) ينظر: «زاد المعاد» (٢/ ١٠٧-١٢٢).

(٣٣) ينظر: «مسند أحمد» (٢٦٣٤٤، ٢٦٣٤٥)، و«صحيح البخاري» (١٦٥١، ١٧٨٥، ٧٢٣٠)، و«صحيح مسلم» (١٢١١، ١٢٣٦، ١٢٣٩)، و«سنن أبي داود» (١٧٨٩)، و«شرح معاني الآثار» (٢/ ٢٠٣)، و«صحيح ابن حبان» (٤٠٠٥)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٣، ٩٥).

(٣٤) ينظر: «صحيح البخاري» (١٧٠٩)، و«صحيح مسلم» (١٢١١).

(٣٥) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٧٤٥)، و«صحيح البخاري» (١٥٥١)، و«صحيح مسلم» (١٢٥١).

(٣٦) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢١٨).

(٣٧) ينظر: «مسند أحمد» (٨٣١٤، ١٦٥٦٨، ١٦٥٦٩)، و«مسند عبد بن حميد» (٢٧٤)، و«جامع الترمذي» (٨٢٩)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩٢٣)، و«سنن النسائي» (٢٧٥٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٦٢٨ - ٢٦٣٠)، و«صحيح ابن حبان» (٣٨٠٣)، و«المستدرك» (١/ ٤٥٠)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٤٢).

(٣٨) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١٣٤٧٢)، و«مسند أحمد» (١٤٧٥، ١٤٤٤٠)، و«صحيح مسلم» (١١٨٤)، و«سنن أبي داود» (١٨١٣)، و«مسند البزار» (٦٨٠٣)، و«المنتقى» لابن الجارود (٤٦٥)، و«مسند أبي يعلى» (٢١٢٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٦٢٦)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٤٥)، و«تاريخ بغداد» (١٤/ ٢١٥)، و«فتح الباري» (٣/ ٤١٠)، و«صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم» للطريفي (ص٩٧-٩٨).

(٣٩) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢١٨).

(٤٠) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥٠٥١، ١٥٠٥٧)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٤٣)، و«المحلى» (٧/ ٩٧)، و«فتح الباري» (٣/ ٤٠٨).

(٤١) ينظر: «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٤٩)، و«مسند أبي يعلى» (٤٢٧٥، ٧٢٣١، ٧٢٧١)، و«المستدرك» (٢/ ٥٩٨)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٧٧)، و«إتحاف المهرة» (٨٩٧٤)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٥٢٧).

(٤٢) أي: مجتمعة الخلق شديدة.

(٤٣) خُلْبة: هو الليف، ويطلق على الحبل المتخذ منه.

(٤٤) ينظر تخريجه في الحديث الآتي.

(٤٥) أي صوت مرتفع.

(٤٦) ينظر: «صحيح البخاري» (١٥٥٧، ٣٣٥٥، ٥٩١٣)، و«صحيح مسلم» (١٦٦).

(٤٧) بكرات جمع بَكْرة، وهي النوق الفتية.

(٤٨) جمع نَمرة، وهي ثياب صوف.

(٤٩) ينظر: «الزهد» لوكيع (١٢٣)، و«مسند أحمد» (٢٠٦٧)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٣٧١٤)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٥٢٨)، وقال: «وأورده الفاكهي في أوائل أخبار مكة من طرق كثيرة».

(٥٠) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢٥٢).

(٥١) ينظر: «سنن أبي داود» (١٨١١)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩٠٣)، و«مسند أبي يعلى» (٢٤٤٠)، و«صحيح ابن حبان» (٣٩٨٨)، و«نصب الراية» (٣/ ١٥٣)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٢٢٣).

(٥٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٠٤٠)، و«صحيح البخاري» (١٦٨٩، ١٧٠٦، ٢٧٥٤)، و«صحيح مسلم» (١٣٢٢، ١٣٢٣)، و«جامع الترمذي» (٩١١)، و«سنن ابن ماجه» (٣١٠٤)، و«مسند أبي يعلى» (٢٧٦٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٦٦٢).

(٥٣) ينظر: «مسند أحمد» (٩٧٩)، و«فتح الباري» (٣/ ٥٣٧).

(٥٤) ينظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (٩/ ٧٣-٧٤)، و«فتح الباري» (٣/ ٥٣٦ - ٥٣٨).

(٥٥) ينظر: «الآحاد والمثاني» (٢٧١٠)، و«الكنى» للدولابي (١/ ١٢٠-١٢١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٢/ ٣٢٤) (٨١٦)، (٢٥/ ١٧٤) (٤٢٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦٨٧٩)، و«المبهمات» للخطيب (١/ ١٣٤)، و«الموضح» له (١/ ١٢٧)، و«المطالب العالية» (١١٤٨)، و«الإصابة» (٧/ ٢٣٢).

وروي نحوه من حديث أم معقل رضي الله عنها. ينظر: «مسند أحمد» (٢٧١٠٧)، و«سنن أبي داود» (١٩٨٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٣٧٦)، و«السلسلة الصحيحة» (٣٠٦٩).

(٥٦) ينظر: «مسند أحمد» (٨٢٩٠، ٩٣٣٢)، و«صحيح مسلم» (٢٦٧٦)، و«جامع الترمذي» (٣٥٩٦)، و«صحيح ابن حبان» (٨٥٨)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٢٧٧٣)، و«المستدرك» (١/ ٤٩٥)، و«شعب الإيمان» (٥٠٢-٥٠٤)، و«الدعوات الكبير» للبيهقي (١٨)، و«الترغيب والترهيب» لِقوام السنة (١٣٥٣)، و«فضيلة الذكر» لابن عساكر (٩)، و«جامع العلوم والحكم» (٢/ ٥٢)، و«إتحاف الخيرة المهرة» (٦٠٥٢)، و«المطالب العالية» (٣٣٩٢)، و«نتائج الأفكار» (١/ ٣٢).

(٥٧) ينظر: «تاج العروس» (٨/ ٤٨٤).

(٥٨) ينظر: «مسند أحمد» (٢٣٥٥)، و«صحيح البخاري» (١٨٣٦، ٥٦٩٨-٥٧٠٠)، و«صحيح مسلم» (١٢٠٢، ١٢٠٣)، و«سنن النسائي» (٢٨٤٥، ٢٨٥٠).

(٥٩) ينظر: «مسند الطيالسي» (١٨٥٣)، و«مسند أحمد» (١٢٦٨٢، ١٤٢٨٠، ١٥٠٩٧)، و«سنن أبي داود» (١٨٣٧، ٣٨٦٣)، و«سنن ابن ماجه» (٣٤٨٥)، و«سنن النسائي» (٢٨٤٨، ٢٨٤٩)، و«مسند أبي يعلى» (٣٠٤١)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٦٥٩، ٢٦٦٠)، و«صحيح ابن حبان» (٣٩٥٢)، و«سنن البيهقي» (٩/ ٣٣٩)، و«شرح السنة» (١٩٨٦).

(٦٠) ينظر: «صحيح البخاري» (٦١٤٩، ٦١٦١)، و«صحيح مسلم» (٢٣٢٣).

(٦١) ينظر: «مسند أحمد» (٢٦٨٦٦)، و«سنن أبي داود» (٤٦٠٢)، و«سنن ابن ماجه» (١٩٧٣)، و«السلسلة الصحيحة» (٣٢٠٥).

(٦٢) ينظر: «مسند أحمد» (٢٦٩١٦)، و«سنن أبي داود» (١٨١٨)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩٣٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٦٧٩)، و«المستدرك» (١/ ٤٥٣-٤٥٤).

(٦٣) الحَيْس: طعام تتخذه العرب من الأقط -وهو اللبن المجفف- والتمر والسمن، تحاس -أي: تخلط- جميعًا، وهو من طعام السفر غالبًا لسهولة إعداده.

(٦٤) ينظر: «مغازي الواقدي» (٣/ ١٠٩٤-١٩٠٥).

(٦٥) ينظر: «مغازي الواقدي» (٣/ ١٠٩٣).

(٦٦) ينظر: «مغازي الواقدي» (٣/ ١٠٩٥)، ومن طريقه «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٢٥٨).

(٦٧) ينظر: «صحيح البخاري» (١٨٢٥، ٢٥٩٦)، و«صحيح مسلم» (١١٩٣، ١١٩٤).

(٦٨) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٠٥، ١٥٦٠، ١٧٨٦، ١٧٨٨)، و«صحيح مسلم» (١٢١١)، وما سيأتي في وقوفه صلى الله عليه وآله وسلم على المروة.

(٦٩) ينظر عن ذي طوى: «أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٩٦٠)، وللفاكهي (٤/ ٢٠٥)، و«التاريخ القويم» للكردي (٦/ ٩).

(٧٠) ينظر ما تقدم في نزوله صلى الله عليه وآله وسلم سرف، وما سيأتي في وقوفه صلى الله عليه وآله وسلم على المروة.

(٧١) ينظر: «صحيح البخاري» (٤٩٢، ١٥٧٦)، و«صحيح مسلم» (١٢٥٧-١٢٥٩)، و«سنن أبي داود» (١٨٦٥).

(٧٢) ينظر: «صحيح البخاري» (١٧٩٨).

(٧٣) ينظر: «صحيح البخاري» (١٢٥٩، ١٦١٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٦٩٦، ٢٧٠٠، ٢٧١٣)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٧٢، ٧٤).

(٧٤) ينظر: «صحيح البخاري» (٢٤٠، ٢٩٣٤)، و«صحيح مسلم» (١٧٩٤).

(٧٥) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٦٧٨).

(٧٦) ينظر: «مسند الطيالسي» (٢٨)، و«مسند الشافعي» (٥٩١)، و«مصنف عبد الرزاق» (٨٨٩٤، ٨٨٩٥، ٨٩١٢)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٤٩٧٢، ١٤٩٧٣)، و«مسند أحمد» (٤٦٢٨)، و«صحيح البخاري» (١٥٩٧)، و«صحيح مسلم» (١٢٧٠)، و«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٧١)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٤٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٧١٤)، و«المستدرك» (١/ ٤٥٥، ٤٧٣)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٧٤).

(٧٧) ينظر: «سنن ابن ماجه» (٢٩٤٥)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٨٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٧١٢، ٢٧١٣)، و«المستدرك» (١/ ٤٥٤، ٤٥٥)، و«شعب الإيمان» (٣٧٦٥)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٧٤)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٥٣٣-٥٣٤)، و«السلسلة الضعيفة» (١٠٢٢)، و«إرواء الغليل» (٤/ ٣٠٨).

(٧٨) ينظر: «صحيح البخاري» (١٦٤٤)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ١٢٦١)، و«سنن أبي داود» (١٨٨٣، ١٨٩٢)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٧٩).

(٧٩) ينظر: «مسند أحمد» (٦٧١٤)، و«صحيح البخاري» (١٦٢٠، ١٦٢١، ٦٧٠٣)، و«سنن النسائي» (٢٩٢١، ٣٨١٠)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٤٤٤)، و«فتح الباري» (٣/ ٤٨٢).

(٨٠) ينظر: «المصنف» لعبد الرزاق (٥/ ٤٧-٤٩)، و«الطبقات» لابن سعد (٢/ ١٣٦)، (٣/ ٢٨٣)، و«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٣٠)، و«أخبار مكة» للفاكهي (١/ ٤٤٢- ٤٤٤)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٢٦)، و«المصاحف» لابن أبي داود (ص٣٧٢)، و«البداية والنهاية» (١/ ٣٥٩)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٤١٧)، و«فتح الباري» لابن رجب (٣/ ٨٢)، و«فتح الباري» لابن حجر (١/ ٤٩٩)، (٨/ ١٦٩).

(٨١) ينظر: «مسند أحمد» (٦٢٤٧)، و«صحيح البخاري» (١٦٩١)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ١٢٢٧)، و«سنن النسائي» (٢٧٣٢، ٢٩٦١، ٢٩٦٣)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٧).

(٨٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٥٢٤٣)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ١٢٦٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٧١٣)، و«المستدرك» (١/ ٤٥٥)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٧٤).

(٨٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٠٩٤٨)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ١٧٨٠)، و«سنن أبي داود» (١٩٠٥)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٧٤)، و«سنن النسائي» (٢٩٦١، ٢٩٧٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٧٥٨)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٩٣).

(٨٤) ينظر: «مسند أحمد» (٢٧٢٨٠، ٢٧٣٦٧، ٢٧٣٦٨)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩٨٧)، و«سنن النسائي» (٢٩٦١، ٢٩٨٠)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٧٦٤)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٩٨).

(٨٥) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢٦٤)، و«سنن أبي داود» (١٨٨٥).

(٨٦) أي: ليقصر من شعره للتحلل من العمرة.

(٨٧) ينظر: «مسند أحمد» (٦٢٤٧)، وصحيح البخاري» (١٥٦٨، ١٦٩١)، و«صحيح مسلم» (١٢١٦، ١٢٢٧)، و«سنن أبي داود» (١٠٨٥)، و«سنن النسائي» (٢٧٣٢).

(٨٨) ينظر: «صحيح البخاري» (١٥٦٦، ٤٣٩٨)، و«صحيح مسلم» (١٢٢٩).

(٨٩) ينظر: «صحيح البخاري» (١٥٦٨)، و«صحيح مسلم» (١٢١٦).

(٩٠) ينظر: «مسند أحمد» (٢٢٧٤)، و«صحيح البخاري» (١٥٦٤)، و«صحيح مسلم» (١٢٤٠)، و«سنن البيهقي» (٤/ ٣٤٥).

(٩١) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٨٣٢، ٧٣٦٧)، و«صحيح مسلم» (١٢١٣، ١٢١٦، ١٢٤٠).

(٩٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٥٢٤٤، ١٨٥٢٣)، و«صحيح البخاري» (١٥٦٨، ١٦٥١، ٧٣٦٧)، و«صحيح مسلم» (١٢١١، ١٢١٣، ١٢١٦، ١٢١٨)، و«سنن أبي داود» (١٧٨٧)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩٨٢)، و«سنن النسائي» (٢٧٦٣)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٩٢٦)، و«صحيح ابن حبان» (٣٩٢٤)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٨).

(٩٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٤٤٤٠)، و«صحيح البخاري» (٢٥٠٦)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨)، و«سنن أبي داود» (١٩٠٥)، و«المنتقى» لابن الجارود (٤٦٥)، و«صحيح ابن حبان» (٣٩٤٣).

وقد ورد في «صحيح البخاري» (١٧٨٥، ٧٢٣٠) أن سراقة رضي الله عنه سأل هذا السؤال والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يرمي جمرة العقبة، وكونها مرة واحدة عند المروة أظهر، والله أعلم.

(٩٤) ينظر: «مسند أحمد» (١٤١١٦، ١٤٢٥٨)، و«صحيح مسلم» (٢٦٤٨)، و«سنن ابن ماجه» (٩١).

(٩٥) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٩٠٦).

(٩٦) ينظر: «صحيح البخاري» (١٧٩٦)، و«صحيح مسلم» (١٢٣٧).

(٩٧) ينظر: «صحيح البخاري» (١٥٤٥، ١٦٢٥).

(٩٨) ينظر: «صحيح البخاري» (٣٧٦، ٣٥٥٣، ٣٥٦٦، ٥٧٨٦)، و«صحيح مسلم» (٥٠٣).

(٩٩) ينظر: «مسند أحمد» (١٤٤٠٩، ١٤٤٤٠)، و«صحيح البخاري» (١٥٥٨، ٤٣٥٢-٤٣٥٤)، و«صحيح مسلم» (١٢١٦، ١٢١٨، ١٢٢١، ١٢٥٠)، و«سنن النسائي» (٢٧١٢، ٢٧٤٤)، و«مسند أبي يعلى» (٢١٢٦)، و«سنن البيهقي» (٤/ ٣٣٨)، (٥/ ١٨، ٤١).

(١٠٠) ينظر: «مسند أحمد» (١٩٥٠٥)، و«صحيح البخاري» (١٥٥٩)، و«صحيح مسلم» (١٢٢١).

(١٠١) ينظر: «مسند أحمد» (١٤٤٠)، و«صحيح البخاري» (١٢٩٦، ٢٧٤٢، ٣٩٣٦، ٥٦٥٩)، و«صحيح مسلم» (١٦٢٨)، و«سنن النسائي» (٢٦٣٠)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٣٥٥)، و«البدر المنير» (٧/ ٢٥٣)، و«فتح الباري» (٥/ ٣٦٤-٣٦٥).

(١٠٢) ينظر: «فتح الباري» (٦/ ٣٦)، وسمَّى ابن الجوزي له خمسة وثلاثين ولدًا. ينظر: «الشذا الفياح» (٢/ ٥٥٧).

(١٠٣) ينظر: «أخبار مكة» للفاكهي (١٩٠١)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٧٩٣)، و«المستدرك» (١/ ٤٦١)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١١١)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٠٨٢).

ورويت هذه الخطبة من فعل أبي بكر وعلي وابن الزبير رضي الله عنهم.

ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١٣٩٧٤)، و«مسند الدارمي» (١٩٥٦)، و«سنن النسائي» (٢٩٩٣)، و«أخبار مكة» للفاكهي (١٩٠٠)، و«صحيح ابن حبان» (٦٦٤٤)، و«الدعاء للطبراني» (٨٧٩)، و«حلية الأولياء» (١/ ٣٣٥-٣٣٦)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١١١)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٢١٨)، و«مجمع الزوائد» (٣/ ٥٥٥)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٥١٤، ٥١٦).

(١٠٤) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢١٨).

(١٠٥) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢٩٧)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٢٥).

(١٠٦) ينظر: «صحيح البخاري» (١٦٦٥، ٤٥٢٠)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ١٢١٩).

(١٠٧) ينظر: «صحيح البخاري» (٤٥، ٧٢٦٨)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ٣٠١٧).

(١٠٨) هو طريق مختصر من مزدلفة إلى عرفة، يمر بحذاء جبل مأزم عرفة الجنوبي، وترى عن يسارك في هذا الطريق بناء مجرى عين زبيدة لاصقًا بالجبل، ويمر فيه اليوم طريق رقم (٣) و(٤) المتجه إلى عرفة. ينظر: «أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٨٠٢)، بتعليق د. الدهيش.

(١٠٩) ينظر: «صحيح البخاري» (٩٧٠)، و«صحيح مسلم» (١٢٨٤).

(١١٠) جمع عانية، وهي الأسيرة.

(١١١) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٩٦٦، ٢٠٦٩٥، ٢٢٢٦٠، ٢٣٤٩٧)، و«صحيح البخاري» (٤٤٠٣)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨)، و«سنن أبي داود» (١٩٠٥)، و«جامع الترمذي» (١١٦٣)، و«سنن ابن ماجه» (١٨٥١، ٣٠٥٧، ٣٠٧٤)، و«السنة» للمروزي (٦٨)، و«مسند أبي يعلى» (١٥٦٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٠٨ - ٢٨١٠)، و«مسند أبي عوانة» (٣٤٦١)، و«صحيح ابن حبان» (١٤٥٧)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠٣)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٦٧٦)، و«تاريخ ابن خلدون» (٢/ ٥٩).

(١١٢) أي: يردِّدها إلى الناس مشيرًا إليهم.

(١١٣) هو جزء من الذي قبله.

(١١٤) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢١٨)، و«سنن أبي داود» (١٩٠٤)، و«شرح معاني الآثار» (٢/ ٢١٣)، و«صحيح ابن حبان» (٣٩٤٤).

(١١٥) ينظر الحديث السابق.

(١١٦) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٧٧٤)، و«مسند الدارمي» (١٨٨٧)، و«جامع الترمذي» (٢٩٧٥)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠١٥)، و«سنن النسائي» (٣٠١٦).

(١١٧) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢١٨).

(١١٨) ينظر: «مسند أحمد» (١٧٢٣٣)، و«سنن أبي داود» (١٩١٩)، و«جامع الترمذي» (٨٨١)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠١)، و«سنن النسائي» (٣٠١٤).

(١١٩) ينظر: «صحيح البخاري» (١٨٤٣)، و«صحيح مسلم» (١١٧٨).

(١٢٠) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٥٠، ١٩١٤)، و«صحيح البخاري» (١٢٦٦، ١٨٥١)، و«صحيح مسلم» (١٢٠٦)، و«سنن أبي داود» (٣٢٣٨)، و«جامع الترمذي» (٩٥١)، و«سنن النسائي» (١٩٠٤، ٢٧١٤).

(١٢١) ينظر: «مسند أحمد» (١٥٨٨٣، ٢٧١٥٣)، و«الآحاد والمثاني» (١٦٩٦)، و«الكنى» للدولابي (٢٨٩، ١٤٦٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٩/ ٢٠٩) (٤٧٣)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤٣٨٧، ٤٥٣٦)، و«الترغيب والترهيب» لِقوام السنة (١٤٦٠)، و«شعب الإيمان» (١٠٦٢٠)، و«فتح الباري» (٣/ ٢٦٣-٢٦٤)، و«السلسلة الصحيحة» (٣٥٠٨)، وينظر: «صحيح البخاري» (١٣٩٦، ٥٩٨٣)، و«صحيح مسلم» (١٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٢٨٤)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣٨٥٣).

(١٢٢) ينظر: «الأدب المفرد» (١١٤٨)، و«سنن أبي داود» (١٧٤٢)، و«الآحاد والمثاني» (١٢٥٧)، و«معجم الصحابة» لابن قانع (١/ ١٨١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٣٣٥١)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٠٧٩)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٢٨).

(١٢٣) ينظر: «البدع» لابن وضاح (١٨٤)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٤٠٨)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٧٨٠)، و«التفسير» للطبري (٨/ ٨١)، و«الموضح» للخطيب البغدادي (٢/ ٥١٩)، و«البداية والنهاية» (٨/ ٦).

(١٢٤) ينظر: «صحيح البخاري» (١٦٦٢)، و«صحيح مسلم» (١١٢٣).

(١٢٥) ينظر: «أخبار مكة» للفاكهي (٢٧٥٦)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٢٨٩٢)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١١٧)، و«فضائل الأوقات» للبيهقي (١٩٧)، و«المطالب العالية» (١٢٤٢).

(١٢٦) ينظر: «مسند أحمد» (٢١٨٢١)، و«صحيح مسلم» (١٢٨٠)، و«سنن النسائي» (٣٠١١)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٢٤)، و«المختارة» للضياء (٢/ ١٦٠) (١٣٣٢).

(١٢٧) ينظر: «الزهد» للمعافى بن عمران (١٣١)، و«مسند الشافعي» (٥٦٩)، و«مسند أحمد» (١٣٢٥٨)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٤٥)، (٧/ ٤٨)، و«نصب الراية» (٣/ ٢٥)، و«البدر المنير» (٦/ ١٦٢)، (٧/ ٤٤٠)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٥٢٤)، (٣/ ٢٦٢).

(١٢٨) ينظر: «طبقات ابن سعد» (٤/ ٦٣)، و«التاريخ الكبير» (٢/ ٢٠)، و«تاريخ دمشق» (٨/ ٧٤)، و«تنوير الغبش في فضل السودان والحبش» لابن الجوزي (٥٦)، و«تهذيب الكمال» (٢/ ٣٤٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٠٠).

(١٢٩) ينظر: «مسند أحمد» (٦١٧٣)، و«الأمثال» لأبي الشيخ (٢٨٢)، و«المستدرك» (٢/ ٤٤٣).

(١٣٠) ينظر: «سنن ابن ماجه» (٣٠٢٤)، و«الضعفاء» للعقيلي (٢/ ١٩٧)، و«التمهيد» لابن عبد البر (١/ ١٢٨-١٢٩)، و«الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ١٣٠)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (١١٥١)، و«السلسلة الصحيحة» (١٦٢٤).

(١٣١) ينظر في مخالفة المشركين للدفع قبل الغروب: «مسند الشافعي» (ص٩٧٤)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (٣/ ٣٨٧، ٣٩٩)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (١٦٤٤)، و«الاستذكار» (٤/ ٢٩٢)، و«أحكام القرآن» للطحاوي (٢/ ١٤١)، و«أحكام القرآن» للجصاص (١/ ٣٨٩)، و«زاد المعاد» (٢/ ٢١٤)، و«مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩/ ٣١، ١٦٣).

(١٣٢) مورك الرحل: هي قطعة جلد يتورَّك عليها الراكب، تُجعل في مقدم الرحل، شبه المخدة الصغيرة.

(١٣٣) ينظر: «مسند أحمد» (٢٥٠٧، ٢١٧٥٦، ٢١٧٦٠)، و«صحيح البخاري» (١٦٧١)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ١٢٨٢)، و«سنن أبي داود» (١٩٢٠)، و«سنن النسائي» (٣٠١٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٤٤).

(١٣٤) المأزم: كل طريق ضيق بين جبلين، وهو طريق بين عرفة والمزدلفة، وقد عبدت فيه ثلاث مسارات أحدها للمشاة.

(١٣٥) ينظر: «مسند أحمد» (٢١٨١٤)، و«صحيح البخاري» (١٣٩، ١٦٦٧، ١٦٧٠)، و«صحيح مسلم» (١٢٨٠، ١٢٨٢)، و«سنن أبي داود» (١٩٢٠، ١٩٢٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٤٧، ٢٨٥١).

(١٣٦) جبل قزح: أكمة مرتفعة بجوار مسجد المشعر الحرام، ويسمى: (جبل قزح بالمشعر الحرام)، وكل مزدلفة مشعر حرام.

(١٣٧) ينظر: «مسند أحمد» (٢١٨١٤)، و«صحيح البخاري» (١٣٩)، و«صحيح مسلم» (١٢٨٠)، و«سنن أبي داود» (١٩٢٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٥١).

(١٣٨) ينظر: «صحيح البخاري» (١٦٨١)، و«صحيح مسلم» (١٢٩٠).

(١٣٩) ينظر: «صحيح البخاري» (١٦٧٧، ١٦٧٨، ١٨٥٦)، و«صحيح مسلم» (١٢٩٣، ١٢٩٤)، و«جامع الترمذي» (٨٩٢).

(١٤٠) ينظر: «شرح معاني الآثار» (٢/ ٢١٥)، و«أحكام القرآن» للطحاوي (٢/ ١٦٢)، و«فتح الباري» (٣/ ٥٢٨)، و«السلسلة الضعيفة» (٥٠٧٨).

(١٤١) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٩٦، ٣٥٤٩)، و«صحيح البخاري» (١٥٤٤)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ١٢٨٣)، و«سنن أبي داود» (١٩٠٧)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠١٢)، و«سنن النسائي» (٣٠٤٦).

(١٤٢) جبلي طيء: هما جبلا: أجا وسلمى في منطقة حائل شمال المملكة العربية السعودية، وهي منازل قبيلة طيء.

(١٤٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٦٢٠٨)، و«سنن أبي داود» (١٩٥٠)، و«جامع الترمذي» (٨٩١)، و«سنن النسائي» (٣٠٤١)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠١٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٢٠)، و«صحيح ابن حبان» (٣٨٥٠).

(١٤٤) ينظر: «مسند أحمد» (١٧٩٤، ١٨٢١، ١٨٥١، ٣٢٤٨)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٢٩)، و«سنن النسائي» (٣٠٥٢، ٣٠٥٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٧٣)، و«صحيح ابن حبان» (٣٨٧١).

(١٤٥) ينظر: «صحيح البخاري» (١٦٨٤)، و«جامع الترمذي» (٨٩٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٢٢).

(١٤٦) وهو أعلى جبل بالمزدلفة، ويسمى اليوم: جبل مزدلفة. ينظر تعليق د. عبد الملك بن دهيش على «أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٩٢٩).

(١٤٧) ينظر: «مسند أحمد» (١١٧٤٢)، و«صحيح مسلم» (١٢٨٠)، و«سنن أبي داود» (١٩٢١)، و«سنن النسائي» (٣٠٣١).

(١٤٨) ينظر: «مسند أحمد» (١٧٩٤، ١٧٩٦، ١٨٢١)، و«صحيح مسلم» (١٢٨٢)، و«مسند الدارمي» (١٩٣٣)، و«سنن النسائي» (٣٠٢٠)، و«صحيح ابن حبان» (٣٨٧٢)، وما تقدم في دفعه صلى الله عليه وآله وسلم من عرفة.

(١٤٩) ينظر: «مسند أحمد» (٣٠٤١)، و«صحيح البخاري» (١٥١٣، ١٨٥٥، ٦٢٢٨)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨، ١٣٣٤)، و«مسند أبي يعلى» (٢٤٤١).

(١٥٠) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢١٨)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٢٦).

(١٥١) ينظر: «صحيح مسلم» (١٢١٨).

(١٥٢) ينظر: «صحيح البخاري» (١٥٤٤، ١٦٨٣)، و«صحيح مسلم» (١٢٨١، ١٢٩٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٨٧)، و«فتح الباري» (٣/ ٥٣٣).

(١٥٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٥٤١٠)، و«جامع الترمذي» (٩٠٣).

(١٥٤) ينظر: «مسند أحمد» (١٦٠٨٧، ١٦٠٨٨)، و«صحيح مسلم» (١٢٩٧)، و«سنن أبي داود» (١٩٦٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٢٨)، و«سنن البيهقي» (٨/ ٢٢٠)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٥).

(١٥٥) ينظر: «مسند أحمد» (٥٦٢)، و«صحيح البخاري» (١٥١٣)، و«صحيح مسلم» (١٣٣٤)، و«جامع الترمذي» (٨٨٥).

(١٥٦) يُغِلُّ عليهن قلب مؤمن: هو من الإغلال: الخيانة في كل شيء. ويُروى: «يَغِلُّ» بفتح الياء من الغِل، وهو الحِقْد والشَّحناء: أي لا يَدْخُله حقْد يُزيلُه عن الحقّ. ورُوي: «يَغِلُ» بالتَّخفيف. من الوُغول: الدُّخول في الشر. والمعنى: أن هذه الخلال الثلاث تُسْتَصْلَح بها القلوبُ فمن تَمَسَّك بها طَهُر قَلْبُه من الخيانة والدَّغَل والشر.

(١٥٧) ينظر: «مسند ابن المبارك» (٢٣٩)، و«مسند ابن أبي شيبة» (٥٦١)، و«مسند أحمد» (٢٠٣٦، ١٦٦٤٩، ١٩٧٥٤، ٢٠٦٩٥، ٢٣٢٣٤)، و«صحيح البخاري» (١٢١، ١٧٤١، ٤٤٠٣، ٤٤٠٥، ٤٤٠٦، ٥٥٥٠، ٦٨٦٩)، و«صحيح مسلم» (٦٥، ١٢٩٨، ١٦٧٩، ١٨٣٨)، و«مسند الدارمي» (٢٢٩)، و«جامع الترمذي» (١٧٠٦، ٢١٥٩، ٣٠٨٧)، و«مسند البزار» (٣٧٥٢، ٦١٣٤، ٦١٣٥)، و«مسند الروياني» (٢٤١٦)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٢٠٥)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٤٢٢).

(١٥٨) ينظر: «مسند أحمد» (٢٢١٦١، ٢٢٢٥٨)، و«جامع الترمذي» (٦١٦)، و«صحيح ابن حبان» (٤٥٦٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٦٦٤)، و«شعب الإيمان» (٦٩٦٧).

(١٥٩) ينظر: «أحكام القرآن» للطحاوي (١٣٧١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٤/ ٢١٠) (٥٣٨)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٧٥٥٧)، و«أسد الغابة» (٧/ ٥١)، و«الإصابة» (٧/ ٥٥٤).

(١٦٠) ينظر: «صحيح البخاري» (٤٤٠٣).

(١٦١) هو حديث: «**ألا تسمعون**» المتقدم.

(١٦٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٥٧)، و«صحيح البخاري» (٨٣، ١٧٢١، ١٧٢٢، ١٧٣٦، ١٧٣٨)، و«صحيح مسلم» (١٣٠٦، ١٣٠٧)، و«سنن أبي داود» (٢٠١٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٧٧٤)، و«شرح مشكل الآثار» (٦٠١٥، ٦٠٢٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٧٢)، و«سنن الدارقطني» (٢/ ٢٥١)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٤٦)، و«زاد المعاد» (٢/ ٢٥٩)، و«فتح الباري» (٣/ ٥٠٥).

(١٦٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٤٥٤)، و«الأدب المفرد» (٢٩١)، و«سنن أبي داود» (٢٠١٥، ٣٨٥٥)، و«جامع الترمذي» (٢٠٣٨، ٣٤٣٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣٤٣٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٧٧٤، ٢٩٥٥)، و«صحيح ابن حبان» (٤٨٦، ٤٠٦١)، و«معجم الطبراني الكبير» (٤٦٣-٤٨٥)، و«المستدرك» (٤/ ١٩٩، ٣٩٩-٤٠٠).

(١٦٤) ينظر: «مسند أحمد» (١٦٥٨٨، ٢٣١٧٧)، و«سنن أبي داود» (١٩٥١)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٣٨).

(١٦٥) ينظر: «سنن أبي داود» (٢٠١٩)، و«جامع الترمذي» (٨٨١)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٠٦، ٣٠٠٧) و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٩١)، و«المستدرك» (١/ ٤٦٧)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٣٩).

(١٦٦) اللبات، جمع لبَّة، وهي موضع النحر في أسفل الرقبة.

(١٦٧) أي: يَقْرُبْن منه.

(١٦٨) ينظر: «مسند الحميدي» (١٢٦٩)، و«مسند أحمد» (١٩٠٧٥)، و«سنن أبي داود» (١٧٦٥، ١٧٦٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣١٥٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٨٩٢، ٢٩١٧، ٢٩٢٤)، و«المستدرك» (٤/ ٢٢١).

(١٦٩) تقدم في الذي قبله.

(١٧٠) الجِلال: أكيسة تكسى بها ظهور البدن.

(١٧١) هي القطعة الصغيرة من اللحم.

(١٧٢) ينظر: «مسند أحمد» (٨٩٤، ١٠٠٢، ١٣٢٥، ١٣٧٤، ٢٣٥٩)، و«صحيح البخاري» (١٧١٧)، و«صحيح مسلم» (١٣١٧).

(١٧٣) ينظر: «مسند أحمد» (١٤٤٩٨)، و«صحيح مسلم» (١٢١٨)، و«سنن أبي داود» (١٩٣٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٧٨٧).

(١٧٤) ينظر: «مسند أحمد» (٢٦١٠٩)، و«صحيح البخاري» (١٧٠٩، ١٧٢٠، ٢٢٩٩)، و«صحيح مسلم» (١٢١١، ١٣١٩)، و«سنن أبي داود» (١٧٥٠، ١٧٥١)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩٦٣، ٣١٣٣، ٣١٣٥)، و«سنن النسائي» (٢٩٠)، و«صحيح ابن حبان» (٤٠٠٨).

(١٧٥) ينظر: «مسند أحمد» (١٥٠٤٣، ٢٣٤٥٣)، و«صحيح مسلم» (١٢١٣، ١٣١٨)، و«جامع الترمذي» (٩٠٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٩٠٠).

(١٧٦) ينظر: «مسند أحمد» (٢٨٠١)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٩٢٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١١٣٩٩)، و«المستدرك» (١/ ٤٧٣).

(١٧٧) الدافة: القوم يَسيرون جماعة سَيْرا ليس بالشديد . يقال : هم يَدِفُّون دَفِيفًا. والدافَّة: قوم من الأعراب يَرِدُون المِصْر يُريد أنهم قَوم قَدِموا المدينة عند الأضْحَى، فنَهاهم عن ادِّخار لُحوم الأضاحي لِيُفَرِّقوها ويتصدَّقوا بها، فيَنْتفع أولئك القادمون بها.

(١٧٨) ينظر: «صحيح البخاري» (٥٥٦٩)، و«صحيح مسلم» (١٩٧١، ١٩٧٤)، و«سنن النسائي» (٤٤٣١).

(١٧٩) ينظر: «صحيح مسلم» (١٩٧٥)، و«مسند الدارمي» (٢٠٠٣)، و«مسند أبي عوانة» (٧٨٧٠-٧٨٧٦)، و«سنن البيهقي» (٩/ ٢٩١).

(١٨٠) ينظر: «مسند أحمد» (١٢٠٩٢، ١٢٣٦٣، ١٢٤٨٣، ١٣١٦٤، ١٣٦٨٥، ١٣٥٠٨، ٢٧٢٤٩)، و«صحيح البخاري» (١٧١)، و«صحيح مسلم» (١٣٠٥، ٢٣٢٥)، و«سنن أبي داود» (١٩٨١)، و«جامع الترمذي» (٩١٢)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٩٢٨)، و«صحيح ابن حبان» (١٣٧١، ٣٨٧٩)، و«المستدرك» (١/ ٤٧٣)، و«سنن البيهقي» (١/ ٢٥)، (٢/ ٤٢٧)، (٥/ ١٣٤)، (٧/ ٦٧)، و«فتح الباري» (١/ ٢٧٤).

(١٨١) ينظر التخريج السابق.

(١٨٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٧٥٩٨)، و«صحيح البخاري» (١٧٢٧)، و«صحيح مسلم» (١٣٠١).

(١٨٣) ذكره القسطلاني في «المواهب اللدنية» (٣/ ٣٣٩)، وعزاه للإمام أحمد، ولم أجده في المطبوع من «المسند».

وله شاهد من حديث عبدالله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري رضي الله عنه، أنه شهدَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عند المنحر هو ورجلٌ من الأنصار، وهو يَقْسِمُ أضاحيَّ، فلم يصبه منها شيءٌ، ولا صاحبَهُ، فحلق رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسَهُ في ثوبه، فأعطاه، فقَسَمَ منه على رجال، وقلَّمَ أظفارَهُ، فأعطاه صاحبَهُ.

ينظر: «الطبقات» لابن سعد (٣/ ٥٣٧)، و«مسند أحمد» (١٦٤٧٤، ١٦٤٧٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٩٣١، ٢٩٣٢)، و«مسند أبي عوانة» (٣٢٤٨)، و«المستدرك» (١/ ٤٧٥)، و«سنن البيهقي» (١/ ٢٥)، و«الأحاديث المختارة» (٤/ ٧) (٣٥٤).

(١٨٤) التفث: هو ما يفعله المُحْرم بالحج إذا حَلَّ كقَصّ الشارب والأظافر ونَتْف الإبط وحلْق العانة. وقيل هو إذْهاب الشَّعَث والدَّرَن والوسَخ مطْلقا.

(١٨٥) ينظر: «صحيح البخاري» (١٧٥٤)، و«صحيح مسلم» (١١٨٩).

(١٨٦) المحجن: عصا محنية الرأس.

(١٨٧) ينظر: «صحيح البخاري» (١٦٠٨، ١٦١٣، ١٦٣٢)، و«صحيح مسلم» (١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٥)، و«سنن أبي داود» (١٨٨٠)، و«سنن النسائي» (٢٩٧٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٧٨٢).

(١٨٨) ينظر: «صحيح البخاري» (١٦٩٢)، و«صحيح مسلم» (١٢٢٧).

(١٨٩) ينظر: «مسند أحمد» (١٤٩٤٣)، و«صحيح البخاري» (١٥٥٦، ١٦٣٨، ٤٣٩٥)، و«صحيح مسلم» (١٢١١).

ووقع في رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في «صحيح مسلم» (١٢١٥) قوله: «لم يطف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافًا واحدًا». ولكن فصَّلت عائشةُ رضي الله عنها فقالت: «فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبالصفا، ثم حلُّوا، ثم طافوا طوافًا آخر بعد أن رجعوا من منى لحجِّهم». متفق عليه، فيحمل ما في رواية جابر على مَن كانوا قارنين، ورواية عائشة على المتمتعين. وينظر بسط ذلك في منسك الشيخ ابن باز رحمه الله من «مجموع فتاويه» (١٦/ ٧٩).

(١٩٠) النبيذ: هو الماء الذي يلقى فيه التمر أو الزبيب؛ ليجعل لطعمه حلاوة، ويستعمل في القرى التي تستقي من الآبار؛ لملوحة مائها، كمكة والمدينة، ويوضع فيه التمر أو الزبيب لتحليته.

(١٩١) أي: نالته الأيدي وخالطته.

(١٩٢) ينظر: «مسند أحمد» (٣٤٩٥، ٣٥٢٨)، و«صحيح البخاري» (١٦٣٥، ١٦٣٦)، و«صحيح مسلم» (١٣١٦)، و«سنن أبي داود» (٢٠٢١)، و«مسند أبي يعلى» (٢٦١٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٩٤٧)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٢٤٧).

(١٩٣) ينظر: «مسند أحمد» (٣٥٢٧)، و«صحيح البخاري» (١٦٣٦)، والتخريج الذي قبله.

(١٩٤) ينظر: «صحيح مسلم» (١٣٠٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقد روى جابر رضي الله عنه، أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم صلَّى الظهر بمكة. أخرجه مسلم (١٢١٨)، ومثله من حديث عائشة رضي الله عنها عند أبي داود (١٩٧٣).

والأول أظهر؛ فلو صلَّى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الظهر بمكة؛ لنُقل إلينا مَن الذي صلَّى بالناس الظهر بمنى، وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يصلِّي الظهر يوم النحر بمنى، وهذا يدل على أنه كان يتحرَّى التأسِّي بما رأى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ينظر: «زاد المعاد» (٢/ ٢٥٨-٢٦١).

(١٩٥) ينظر: «أخبار مكة» للفاكهي (٢٣١٣، ٢٥٩٣، ٢٦٠١، ٢٦٠٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٢٢٨٣)، و«المعجم الأوسط» (٥٤٠٧)، و«المستدرك» (٢/ ٥٩٨)، و«سنن البيهقي» (٢/ ٤٢)، (٥/ ١٧٧)، و«المختارة» للضياء (٤/ ١٨٩) (٣٠٩)، و«المطالب العالية» (١٣٣١)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٠٢٣).

(١٩٦) ينظر: «مسند أحمد» (١٨٩١)، و«صحيح البخاري» (٧٦، ٤٩٣، ١٨٥٧)، و«صحيح مسلم» (٥٠٤)، و«سنن أبي داود» (٧١٥)، و«جامع الترمذي» (٣٣٧)، و«سنن ابن ماجه» (٩٤٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٨٣٣)، و«فتح الباري» (١/ ١٧١-١٧٢).

(١٩٧) ترعد، أي: تَرْجُفُ وتضْطربُ من الخوف، والفرائص جمع فريصة، وهي لَحْمة في وَسَط الجَنْب عند مَنْبِض القَلْب، ترعد وتثور عند الفَزْعة والغضب.

(١٩٨) ينظر: «مسند أحمد» (١٧٤٧٥، ١٧٤٧٦)، و«سنن أبي داود» (٥٧٥، ٦١٤)، و«جامع الترمذي» (٢١٩)، و«سنن النسائي» (٨٥٨)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٦٣٨)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٢/ ٢٣٢-٢٣٦) (٦٠٨-٦١٩)، و«المستدرك» (١/ ٢٤٥)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٣٠١).

(١٩٩) ينظر: «صحيح البخاري» مع «الفتح» (٢/ ٤٦٢)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٢٥٨٠)، و«سنن البيهقي» (٣/ ٣١٢).

(٢٠٠) ينظر: «مسند أحمد» (٥٦٧، ٩٩٢، ١٤٥٦، ٤٩٧٠، ١٥٤٢٨-١٥٤٣٠، ١٥٧٩٣، ١٦٧٠٦، ١٧٣٧٩، ١٧٧٦٨، ١٨٩٥٥، ٢٠٧٢٣، ٢١٩٥٠)، و«صحيح مسلم» (١١٤٢)، و«سنن ابن ماجه» (١٧١٩)، و«سنن النسائي الكبرى» (٢٨٩٢، ٢٩٠٣)، و«مسند أبي يعلى» (٥٩١٣، ٦٠٢٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢١٤٨، ٢٩٦٠)، و«صحيح ابن حبان» (٣٦٠١)، و«سنن البيهقي» (٤/ ٢٦٠)، (٩/ ٢٩٦).

(٢٠١) يوم الرؤوس هو اليوم الحادي عشر؛ لأنهم كانوا يأكلون فيه الرؤوس، حتى لا يسرع إليها الفساد. ويُسمَّى: يوم القر؛ لأن الحجاج يقرون فيه بمنى.

ويسمَّى: أوسط أيام التشريق، أي: أفضلها، كما في حديث كعب بن عاصم الأشعري رضي الله عنه، أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب أوسط أيام التشريق، وهو الغد من يوم النحر. أخرجه الروياني في «مسنده» (١٥٣٠)، وينظر: «حجة الوداع» لابن حزم (ص٢١٧)، و«فتح الباري» (٣/ ٥٧٤).

(٢٠٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٦٤٠٩، ١٧٦٦٤، ١٧٦٧٠، ١٨٠٨٧)، و«مسند الدارمي» (٢٥٧٦)، و«سنن أبي داود» (١٩٥٢، ١٩٥٣، ١٩٥٦)، و«الآحاد والمثاني» (٣٣٠٥)، و«مسند أبي يعلى» (١٥٦٩)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٩٧٣)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٢٤٣٠)، و«المعجم الكبير» (٣٦٠٩، ٤٤٥٨)، ١٧/ ٣٤ (٦٥)، ١٩٠/ ١٧٥ (٤٠٠)، ٢٢/ ٢٤٣ (٦٣٦)، ٢٤/ ٣٠٧ (٧٧٧)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٧٧٠١)، و«حجة الوداع» لابن حزم (ص٢١٧)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٤٠، ١٥١).

(٢٠٣) ينظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١٤٣٤٣، ١٤٣٤٤)، و«مسند أحمد» (٥٩٤٤، ٦٦٦٩، ٢٤٥٩٢)، و«صحيح البخاري» (١٧٥١-١٧٥٣)، و«صحيح مسلم» (١٢٩٦)، و«سنن أبي داود» (١٩٧٣، ١٩٩٦)، و«سنن النسائي» (٣٠٨٣)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٢٦٦٤-٢٦٧٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٩٥٦).

(٢٠٤) ينظر: «مسند أحمد» (٥٩٤٤، ٩٢٢٢، ٢٢٢٠٧)، و«سنن أبي داود» (١٦٩٦)، و«جامع الترمذي» (٩٠٠)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠١٢)، و«سنن الدارقطني» (٢/ ٢٧٤)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٣٠-١٣١).

(٢٠٥) ينظر: «مسند أحمد» (٢٣١٥٨، ٢٢٢٠٧)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠١٢).

(٢٠٦) ينظر: «سنن أبي داود» (١٩٧٥)، و«جامع الترمذي» (٩٥٥)، و«سنن ابن

ماجه» (٣٠٣٧)، و«سنن النسائي» (٣٠٦٩).

(٢٠٧) ينظر: «صحيح البخاري» (١٦٣٤)، و«صحيح مسلم» (١٣١٥).

(٢٠٨) أي: دأبه وشأنه.

(٢٠٩) القطا: طائر يشبه الحمام، يوصف بحسن المشي لتقارب خُطاه.

(٢١٠) ينظر: «صحيح البخاري» (١٥٨٩)، و«صحيح مسلم» (١٣١٤).

(٢١١) ينظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٥٢).

(٢١٢) ينظر في تحديد موقع المحصَّب: تعليق الشيخ عبد الملك بن دهيش على «تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٧٤٢).

(٢١٣) ينظر: «صحيح مسلم» (١٣٢٧)، و«سنن أبي داود» (٢٠٠٢)، و«صحيح ابن حبان» (٣٨٩٧)، و«سنن البيهقي» (٥/ ١٦١).

(٢١٤) ينظر: «صحيح البخاري» (١٧٥٦، ١٧٦٤)، و«صحيح مسلم» (١٣١٠، ١٣١١).

(٢١٥) مؤخرة الرحل: هي خشبة في آخرة الرحل، يستند إليها الراكب.

(٢١٦) الرحل: مركب من خشب يوضع على ظهر البعير، وهو للبعير كالسرج للفرس.

(٢١٧) ينظر: «مسند أحمد» (١٧١٠، ١٤٩٤٢، ٢٤١٥٩)، و«صحيح البخاري» (١٥٥٦، ١٥٦١، ١٦٣٨، ١٧٨٥، ١٧٨٧، ١٧٨٨)، و«صحيح مسلم» (١٢١١، ١٢١٣)، و«سنن أبي داود» (١٩٩٥)، و«سنن النسائي» (٢٩١١)، و«سنن النسائي الكبرى» (٩٢٣٤)، و«صحيح ابن خزيمة» (٣٠٢٧)، و«مسند أبي عوانة» (٣١٨٦)، و«المستدرك» (١/ ٤٧٠)، و«أخبار أصبهان» (٣/ ٣٧٢)، و«سنن البيهقي» (٤/ ٣٣٢)، و«فتح الباري» (٣/ ٦١١).

(٢١٨) ينظر: «مسند أحمد» (٢٤٩٠٦، ٢٥٤٢٨)، و«صحيح البخاري» (١٧٧٢)، و«صحيح مسلم» (١٢١١)، و«سنن البيهقي» (٥/ ٦، ١٦٢)، والتخريج السابق.

(٢١٩) ينظر: «مسند أحمد» (٢٦٤٨٥، ٢٦٧١٤)، و«صحيح البخاري» (٤٦٤، ١٦٢٦، ٤٨٥٣)، و«صحيح مسلم» (١٢٧٦)، و«سنن أبي داود» (١٨٨٢)، و«سنن ابن ماجه» (٢٩٦١)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٤٧٤)، و«سنن النسائي» (٢٩٢٥، ٢٩٢٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٧٧٦)، و«صحيح ابن حبان» (٣٨٣٠).

(٢٢٠) ينظر: «صحيح البخاري» (١٥٨٩)، و«صحيح مسلم» (١٣١٤).

(٢٢١) كدى: يعرف اليوم بريع الرسام، بين حارة الباب وجرول. ينظر: «معجم المعالم الجغرافية الواردة في السنة النبوية» (ص٢٦٢).

(٢٢٢) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٦).

(٢٢٣) ينظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٥٠٣).

(٢٢٤) ينظر: «إكمال المعلم» (٤/ ٢٦٥)، و«شرح النووي على صحيح مسلم» (٨/ ١٧٠).

(٢٢٥) ينظر: «مسند أحمد» (٢٥٦٢٤)، و«صحيح البخاري» (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠)، و«صحيح مسلم» (٢٧٧٠).

(٢٢٦) ينظر: «صحيح البخاري» (٢٣٠٩)، و«فتح الباري» (٤/ ٤٨٥). وينظر أيضًا: «صحيح البخاري» (٥١١٣)، و«صحيح مسلم» (٥٠٣، ٦٧٧، ١٤٢٥، ٢٣٢٨).

(٢٢٧) ينظر: «مغازي الواقدي» (١/ ١٩٩، ٣٤٦)، (٢/ ٧٧٠)، (٣/ ٨٨٥)، و«الطبقات» لابن سعد (٤/ ٣٨٣-٣٨٤).

(٢٢٨) ينظر: «الطبقات» لابن سعد (١/ ٩١، ٢٦٤)، (٣/ ٢٧٥)، و«مسند الطيالسي» (٢١٦٨)، و«فضائل القرآن» لأبي عبيد (٦٤٨)، و«سنن النسائي» (٣٣٤٩)، و«فتح الباري» (١٠/ ٥٣٨)، و«عمدة القاري» (٩/ ٣٠٧).

(٢٢٩) ينظر: «فتح الباري» (٨/ ٤٥٦-٤٥٧).

(٢٣٠) ينظر: «صحيح البخاري» (٦١٦٨، ٦١٦٩)، و«صحيح مسلم» (٢٦٤١).

■■■■



فهرس المحتويات



كأنك معه

صفة حجة النبي ﷺ كأنك معه

هذه رحلة نرحل فيها بأرواحنا ومشاعرنا في أعظم مسير وأقدس سفر، فذاك رسول الله، وتلك بلد الله، وهذا الحج إلى بيت الله.

فأحضر قلبك وشعورك ومشاعرك لتصحب بوجدانك ركبه صلى الله عليه وآله وسلم، فترى مشاهد تأخذ بمجامع القلوب، وسيرة عطرة تستجيش المشاعر والشعور، ولا تزال تتأمل في مشاهد هذه الرحلة حتى تتداعى إليك رائعات المعاني بأجمل الدروس وأعظم العبر.

إنه الحديث الحبيب عن رحلة الحبيب وهو يقود المسلمين ليريهم مناسكهم، ويعلمهم كيف يحجون بيت ربهم.

وإن زادنا في رحلتنا هذه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إيماننا الموقن به، وحبنا الشاغف له، وشوقنا اللاهف إليه، واستشعارنا عظيم منة الله علينا ببعثته فينا.

عبدالوهاب بن ناصر الطريري

altriri@hotmail.com

إنتاج مؤسسة الإسلام اليوم

المملكة العربية السعودية

الرياض ص.ب ٢٨٥٧٧ - الرمز : ١١٤٤٧

هاتف : ٠١٢٠٨١٩٢٠ - فاكس : ٠١٢٠٨١٩٠٢

بريدة هاتف : ٠٦٣٨٣٦٤٦٦ - فاكس : ٠٦٣٨٣٠٠٥٣

www.islamtoday.net - info@islamtoday.net





10 S.R